منهاج النبوة
في
الدعوة إلى الله

جمع وإعداد

مهدي بن إبراهيم مبجر

منهاج النبوة في الدعوة إلى الله

مهدي بن إبراهيم مبجر

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

.....

رقم الإيداع: .. / ١٤٣٢

ردمك: .. - ... - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

تنبيهات هامة :

تمتاز هذه الطبعة بأمور :

١ - تصحيح بعض الأخطاء التي وقعت في الطبعات الأولى من كتاب منهاج النبوة .

٢ - تخريج جميع الأحاديث الورادة في الكتاب ليسهل على طالب العلم الرجوع إليها.

٣ - وضع تطبيقات عقب كل فصل وهي خاصة بطالب العلم لتثبيت المعلومات .

- من الفوائد التي يمكن لطالب العلم تحصيلها (الاستفادة من المراجع في النقاط المحددة من الكتاب للتوسع في المعلومة والتزود بما لم يذكر في الكتاب من النصوص وكلام أهل العلم .

- هناك خطأ في اسم الصحابي في الفصل السادس عشر (ابو بردة البلوى) والصواب (أبو برزة الأسلمي) وقد صحح في هذه الطبعة ص ١١٣ .

للتواصل مع المؤلف	mahdee-m@hotmail.com جوال ٠٥٠٥٦٤٨٧٨٠
التصميم والإخراج الفني	أبو عمر محمود شوقي مفلح ٠٥٤٤٣٤٣٧٧١ - الرياض *mahmoodshawqi@yahoo.com*

منهاج النبوة في الدعوة إلى الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وآله وصحبه.

أما بعد فها هي الطبعة الثانية لكتابي (منهاج النبوة في الدعوة إلى الله) قد نفدت ولا زال الطلب عليه يتزايد، وهذا من فضل الله عليَّ، وأسأل الله أن يتقبله مني عملًا صالحًا خالصًا لوجهه الكريم .

وها أنا ذا بناءً على رغبتهم في إعادة طبعه مرةً ثالثة قد قمت بتصحيح ما ورد في الطبعات السابقة من أخطاء وخرّجت الأحاديث النبوية، حرصًا على سلامة النصوص الشرعية، ومحافظة على وضوح الفكرة المبنية على تلك النصوص.

والله أسأل أن ينفع به عباده المؤمنين، وأن يجعله حجةً لي يوم الوقوف بين يديه، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

حرر في ١٢/ ٧/ ١٤٣٢هـ

◆◆◆◆

المقدمة

الحمد لله الذي فتح على قلوب أوليائه أنوار الهدى والبصيرة، وأمتعهم بنسيم اليقين ولذة العافية، وجعلهم هداة مهتدين، ودعاة صالحين. يصلحون إذا فسد الناس، ويصلحون ما أفسد الناس بما أوتوا من الكتاب والحكمة، وما منحهم الله من كريم الأخلاق وحميد السيرة، وصفاء السريرة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إمام الهدى وقدوة المهتدين، والرحمة المهداة من رب العالمين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله سبيل الأنبياء، وحلية الأولياء الذين اصطفاهم الله لحمل رسالته، واختارهم للسعي في إصلاح عباده؛ لأنها سبيل لا تخضع للأهواء فتلتبس بها، ولا للشهوات فتمتزج بها، ولا للآراء المجردة عن الدليل فتنحرف بها، بل بنور الله تسير، ومن منهاج رسول الله ﷺ

تستنير. فإذا رأيت انحرافًا في دعوة، وجنوحًا إلى باطل في دعاة فاعلم أن ذلك انحراف عن نور الله، وميل عن منهاج رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾[1].

وإذا كانت الدعوة في اللغة تطلق على طلب الإقبال كما في قول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وإني ليدعوني الندى فأجيبه وأضرب بيض العارض المتوقد[2]

وعلى أمارات الطلب وأسبابه ودواعيه كما في قولهم لصريخ الخيل في الحروب وما يترك في الضرع من اللبن ليدعو مابعده [داعية] ومنه قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ﴾[3] والمقصود نفخ الصور من قبل إسرافيل عليه السلام، وتطلق أيضًا على المسألة ومن قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[4] أي: اسألوني. ومنه تسمية السبابة [دعّاءة] لأنه يشار بها إلى التوحيد الذي هو من أعظم أسباب إنجاح المسألة؛ فإن الدعوة إلى الله تشتمل على هذه المعاني فهي طلب إقبال

(١) سورة طه: (١٢٣، ١٢٤).
(٢) الديوان: (١٨٢).
(٣) سورة القمر: (٦).
(٤) سورة غافر: (٦٠). (٤) أي لما يرجوه من الله من حسن المثوبة وجميل العاقبة.

حين تُوَجَّهُ الدعوة مباشرةً إلى المدعو، وهي أمارة لها حين يكون الداعية أسوة صالحة تذكر بالله رؤيته، وهي أسباب و بواعث حين تقع العظات والعبر، وهي مسألة بالنظر إلى الداعي وتقربه بما يدعو إلى الله تعالى[1] وسيأتي -إن شاء الله- من النصوص ما يوضح هذه المعاني. وإذًا فالدعوة إلى الله تعالى تعني الدعوة إلى دينه وعبادته ومحبته على بصيرة. ودين الله هو سبيله وهو الصراط المستقيم. والبصيرة هي العلم بالكتاب والسنة وهي الحكمة -كما سيأتي بيانه- فتضمنت أمورًا ثلاثة هي لها أركان: داع، ومدعوًا، ومدعوًا إليه، فالداعي: هو رسول الله ﷺ ومن تبعه، والمدعو: سائر الناس، والمدعو إليه: سبيل الله الذي هو دينه فاقتضى ذلك ممن دعا إلى الله أن يكون عالمًا بدينه متخلقًا بخلق رسوله عليه الصلاة والسلام مقدمًا لما قد م معظمًا لما عظم، فيبدأ بغرس عقيدة التوحيد صافية نقية محذرًا من الشرك بالله في عبادته فإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء[2].

وليحذر من الشرك الخفي وهو: الرياء فإنه محبط ما قارنه من العبادة وليتأدب مع الله عند ملاحظة الأسباب فإذا استفاد مصلحة

(١) انظر هذه المعاني اللغوية في المصادر التالية: القاموس المحيط (١٦٥٥) ط ٢، مجمل اللغة (٣٢٢٦، ٣٢٢٧/ ١) ط١ سنة ١٤١٤هـ، المصباح المنير (١٩٤)، لسان العرب (٢٥٩/ ١٤).
(٢) والشرك: صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله مثل الدعاء والرجاء والاستغاثة والاستعاذة والذبح والنذر والخوف ونحوها.

[ما] من جهة فلا يقل لولا الله وفلان أو الشيء الفلاني ولكن ليقل لولا الله ثم فلان وليحذر أيضًا من الإلحاد في أسمائه وصفاته بتأويل أو تحريف أو تعطيل أو تشبيه أو تمثيل بل تمر كما جاءت وتحمل على حقائق معانيها على ما يليق بجلال الله وعظمته ولا يسأل عنها بصيغة كيف فإن ذلك من البدع المحدثة. وما حدث من الخلاف في الأسماء والصفات فمنشؤه من تقديم العقل على النقل وذلك مخالف لهدى الله فإن العقل تابع للشرع وهو خلاف ما عليه الصحابة والتابعون رضوان الله عليهم أجمعين. ومما يجب تقديمه الإيمان بأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وأنه عبد لا يعبد ونبي لا يكذب بل يطاع ويتبع عليه الصلاة والسلام وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول وروح منه وأن الجنة حق والنار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ومن ذلك الإيمان بجميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون[1].

إن الداعي إلى الله إنسان عرف الله فآمن به وأحبه، وعرف دينه فرضي به واستمسك به وعرف رسوله ﷺ فآمن به وأحبه واتبعه فهو يطلب رضى الله في دعوته ويبتغي الزلفى لديه بحسن عبادته ويرى في الحرص على نشر دين الله وإصلاح عباده عز الدنيا وكرامة الآخرة. إنني لا أعني أنه معصوم من الخطأ ولكنه لا يصر عليه إذا تبين له. شأنه في

(١) انظر مفتاح دار السعادة: (١/ ١٩٤).

ذلك شأن عباد الله المتقين الذين قال الله في حقهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[1].

ولا أعني أنه لا يدعو إلى الله إلا أهل العلم دون العامة من المسلمين لأن المهمة أعظم من أن تستطيعها هذه الطائفة من المسلمين ولكن ليدعو كل بحسب حاله على أن يصدروا عن العلماء وينهوا إليهم ما أشكل عليهم [فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا][2]، وقد قال الله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[3].

إن الدعوة إلى الله تعالى لا تعني الفساد في الأرض بل هي ضده، ولا زعزعة الأمن بل تمكينه وتثبيته لأنها دعوة إلى الإيمان بالله ورسوله ﷺ وما أنزل عليه من الكتاب والحكمة والله يقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[4] وقال ﷺ: «والله لَيُتِمَّنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلَّا الله والذئب على غنمه»[5] فربط تمام الأمن بتمام هذا الأمر وهو الدين.وقد وقع ما أخبر به ﷺ. وفي هذا العصر تشتد الحاجة للدعوة إلى الله لكثرة ما يتوارد على المسلمين من أنواع التضليل ووسائل الصد

(١) سورة الأعراف: (٢٠١).

(٢) متفق عليه. (البخاري كتاب المساجد ، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره حديث (٤٦٧) ، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم في حديث (٢٥٨٥)

(٣) سورة الكهف: (٣٠).

(٤) سورة الأنعام: (٨٢).

(٥) رواه البخاري.كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام حديث (٣٤١٦)

المختلفة تستهدف إقصاء الدين عن حياة المسلمين، وإقصاء المسلمين عن حياة الصالحين. بحيث لا يبقى من الدين إلَّا اسمه ولا من القرآن إلَّا رسمه ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[1]، وقد جعل الله للحق سمة وللباطل سمة لئلَّا يلتبس الحق بالباطل، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾[2] فرأيت أن أجمع ما تيسر لي من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما يتحقق به هذا الغرض ويظهر به الحق على الباطل، لأن الباطل إذا عرف هجر؛ ولأن مثل ذلك يكشف النقاب عن دعاة الضلالة ولِيُعْلَمَ أن الدعاة إلى الله لهم طريق مشروع وعلم مرفوع وقدوة متبعة يصدرون عنها، ويردون إليها ما خفي عليهم في جميع أمورهم وأحوالهم، وليستأنس بها أهل هذا الطريق ممن يحب الخير للناس ويسعى في إيصاله إليهم.

وقد حاولت سلوك سبيل السلف الصالح من علماء هذه الأمة في وضع التراجم وإيراد النصوص متبعًا كل نص بما يوضحه ومردفًا كل فصل بالمسائل المستفادة منه، وجعلته بابين:

الباب الأول: في دعاة الهدى وبيان دعوتهم.

الباب الثاني: في دعاة الضلالة وبيان دعوتهم.

وسميته: «منهاج النبوة في الدعوة إلى الله».

(١) سورة يوسف: (٢١).

(٢) سورة الأنعام: (٥٥).

فأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به عباده، وأن يطرح له القبول في العالمين. فلا إله إلَّا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

المؤلف

◆◆◆◆

الباب الأول

في دعاة الهدى وبيان دعوتهم

الفصل الأول

الدعاة صنفان، دعاة هدى ودعاة ضلالة

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٣٨ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٤٠ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[1] دلت هذه الآيات على أن من الدعاة من دعوته دعوة هدى ورشاد ونجاة من النار، ومن دعوته دعوة ضلالة وغواية من الشرك بالله تعالى وتعدي حدوده، وهي الدعوة إلى النار.

وعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ إنما أخاف على

(١) غافر: (٣٨-٤١).

أمتي الأئمة المضلين)[1] ولا يكون إماما إلا إذا كان داعية مقتدى به فيما يدعو إليه أو يسعى إلى أن يكون كذلك. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾[2]، وقال في شأن أئمة الهدى ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾[3].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله»[4] أي يقول أوحي إلي ولم يوح إليه بشيء ، والمعنى أنهم يهدون الناس بغير أمر الله ويزعمون أنهم يهدون بأمره ، فهم دعاة ضلالة.

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا»[5]، فبين أن من الناس من يدعو إلى هدى ،

(١) رواه الترمذي بسند صحيح ، انظر صحيح سنن الترمذي باب ما جاء في الأئمة المضلين حديث (١٨١٧) ورواه أبو داود في كتاب الفتن ، باب ذكر الفتن ودلائلها حديث (٣٥٧٧) صحيح سنن أبي داود) .

(٢) القصص: (٤١).

(٣) الأنبياء: (٧٣).

(٤) متفق عليه.(البخاري في كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام حديث (٣٤١٣) ، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء حديث (١٥٧)

(٥) رواه مسلم ، في كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة حديث (١٠١٧)

ومنهم من يدعو إلى ضلالة.

وعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: «كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ، قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال نعم وفيه دخن[1]. قلت وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم ، دعاة على أبواب جهنم[2] من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: هم من جلدتنا[3] ويتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[4].

فبين ﷺ أن وجود قوم يهدون بغير هديه أوقع دخناً في ذلك

(١) دخن: قال الحافظ بن حجر: هو الحقد ، وقيل: الدغل ، وقيل: فساد في القلب ومعنى الثلاثة متقارب.

(٢) دعاة على أبواب جهنم: أطلق عليهم ذلك باعتبار ما يؤول إليه حالهم قاله الحافظ أيضًا.

(٣) من جلدتنا: أي قومنا ومن أهل لساننا وملتنا وفيه إشارة إلى أنهم من العرب قاله الحافظ أيضًا.

(٤) متفق عليه.(البخاري في كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام حديث (٣٤١١) ، ومسلم في كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن حديث رقم (١٨٤٧) .

الخير، وأن وجود دعاة على أبواب جهنم وهم الذين يصطادون الناس بالشهوات والشبهات شر عظيم يعقب ذلك الخير، وبان[1] من ذلك كله أن من الناس دعاة خير ومنهم دعاة شر وضلالة ، فدعاة الخير يهدون الناس بأمر الله ودعاة الضلالة على خلاف أمره.

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: أن الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى النجاة من النار لقول العبد المؤمن: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾، وهي الدعوة إلى توحيد الله والانقياد له.

الثانية: أن الدعوة إلى الشرك بالله هي دعوة إلى النار، لأنها مآل المشركين ولهذا قال العبد المؤمن ﴿وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾.

الثالثة: خوف النبي ﷺ على أمته من الأئمة المضلين وأنهم دعاة ضلالة مقتدىً بهم فيها.

الرابعة: وصف من يدعي النبوة بعد رسول الله ﷺ بأنه (دجال كذاب) وبيان عددهم ، وأنه لا نبي بعده ﷺ.

الخامسة: عظم ثواب من دعا إلى الهدى، وجرم من دعا إلى الضلالة.

(١) أي تبين ووضح.

السادسة: أن الناس قبل الإسلام كانوا في جاهلية وشر من الكفر بالله والقتل والنهب وإتيان الفواحش لقول حذيفة: (كنا في جاهلية وشر) وقد أقره النبي ﷺ على ذلك.

السابعة: تَحَوُّلِ أمر الناس بالإسلام إلى الخير من الإيمان بالله ورسوله والأمن وصلاح الحال واجتناب الفواحش لقول حذيفة: «فجاءنا الله بهذا الخير»، وقد أقره النبي ﷺ على ذلك.

الثامنة: الإخبار بوقوع الشر في هذه الأمة لقول حذيفة: (فهل بعد هذا الخير من شر؟)، وجواب النبي ﷺ بقوله: (نعم).

التاسعة: الإخبار بوقوع دخن في الخير الثاني لوجود دعاة يهدون الناس بغير هدي رسول الله ﷺ ففيه تنبيه على أن الخير والهدى متلازمان وأن من يهدي الناس بغير هدي رسول الله ﷺ فقد لبس على الناس أمر الحق والهدى وفي ذلك شر عظيم.

العاشرة: عظم الشر الثاني وشدة بلائه لوجود دعاة على أبواب جهنم يدعون الناس إليها.

الحادية عشرة: وصف هؤلاء الدعاة وأنهم «من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا»، وهذا فيه زيادة تهويل وتحذير من شرهم لما في ذلك من التغرير والمكر بالمسلمين.

تطبيقات

هل يصح إطلاق لفظ (داعية) أو (إمام) على دعاة الضلال؟

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

ما هو السر البلاغي في وصف مؤمن آل فرعون لدعوته بأنها (إلى النجاة) ودعوة فرعون وآله (إلى النار)؟

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

لماذا سميت الدعوة إلى الباطل (دعوة ضلال)؟

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

أذكر ثلاثة فروق من خلال نصوص هذا الفصل بين دعوة الهدى ودعوة الضلالة.

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

الفصل الثاني

أن من هدي النبيين عليهم الصلاة والسلام تقديم الدعوة إلى توحيد الله تعالى والاهتمام به وأنه أول الواجبات

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[1] أخبر تعالى أنه أوحى إلى جميع رسله أنه لا إله إلَّا هو، وأنه أمرهم بأن يعبدوه وحده لا شريك له وقد رتب أمره هذا على خبره بأنه لا إله إلَّا هو بحرف (الفاء) التعليلية ليعلم العباد أن تحقيق هذه الكلمة إنما يتم بإخلاص العبادة لله وحده.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[2].

الطاغوت: كل ما عُبِدَ من دون الله. وما جاء في هذه الآية هو تحقيق

(١) سورة الأنبياء: (٢٥).

(٢) سورة النحل: (٣٦).

كلمة (لا إله إلَّا الله) فإنها مكونة من نفي (لا إله) وإثبات (إلَّا الله) فهي بمعنى لا معبود بحق إلَّا الله وما جاء في هذه الآية مكون من أمرين أحدهما أمر بفعل فهو بمنزلة الإثبات في كلمة الإخلاص والثاني أمر بترك فهو بمنزلة النفي فيها فبالأول يتحقق ما أثبتته وبالثاني يتحقق ما نفته فعلم من هاتين الآيتين أهمية التوحيد وعظم مكانته عند الله عز وجل.

قال ابن كثير -رحمه الله-: (فكل نبي بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والفطرة شاهدة بذلك أيضًا، والمشركون لا برهان لهم. وحجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد)[1].

وقال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾[2] أخبر تعالى عن كتابه الذي هو القرآن أنه أحكم آياته وفصلها بحيث تشمل جميع مصالح عباده الدينية والدنيوية، فأمر ونهى، ووعد وتوعّد، وأنذر وبشّر، وضرب الأمثال وأتى بالعبر، وقص القصص وقسم البشر، فهذا مؤمن، وذاك منافق، وذا قد كفر، وكلُّ هذا وغيره من أجل أن يعبدوا الله وحده لا شريك له وأن يقيموا هذه العبادة على علم وبصيرة ويكون تحقيقهم لكلمة الإخلاص على أكمل وجه وأتمه، فعلم بهذا أن الدين كله مبني على التوحيد لا سيما وقد أكد هذا بقوله: ﴿مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ سبحانه وتعالى.

(١) تفسير ابن كثير: (١٧٦/ ٣).
(٢) سورة هود: (١، ٢).

قال ابن كثير -رحمه الله-: «أي نزَّل هذا القرآن المحكم المفصل لعبادة الله وحده لا شريك له»[1] وقد أخبر الله تعالى أن نوحًا وهودًا وصالحًا وشعيبًا عليهم الصلاة والسلام قالوا لقومهم: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١٦ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[3].

وقال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾[4].

وقال تعالى في شأن موسى عليه السلام: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[5].

وقال تعالى في شأن لقمان وهو يعظ ابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ

(١) تفسير ابن كثير: (٤٣٥/ ٢).
(٢) سورة هود: (٥٠، ٦١، ٨٤)، وسورة المؤمنون: (٢٣).
* تم حذف جملة [وكل هذا وغيره مماورد فيه] ليتضح المعنى وتستقيم العبارة.
(٣) سورة العنكبوت: (١٦، ١٧).
(٤) سورة المائدة: (٧٢).
(٥) سورة طه: (١٣، ١٤).

﴿ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[1] وقال تعالى لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[2] وهو صريح مفهوم الآية الأولى فكما أوحى إلى جميع الرسل أنه لا إله إلَّا هو أوحى إلى نبيه ورسوله محمد ﷺ بذلك.

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلَّا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان»[3].

وعنه رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلَّا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلَّا بحق الإسلام وحسابهم على الله»[4].

يستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: عظم أهمية التوحيد وأن الله بعث جميع الرسل للدعوة إليه والنهى عن ضده وهو الشرك.

الثانية: أن الله ما أنزل القرآن محكمًا مفصلًا إلَّا من أجل عبادة الله وحده.

(١) سورة لقمان: (١٣).
(٢) سورة محمد: (١٩).
(٣) متفق عليه (رواه البخاري كتاب الإيمان ، باب الإيمان وقول النبي صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس حديث (٨) ، ورواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام حديث (١٦) .
(٤) متفق عليه ، رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) حديث (٢٥) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، حديث (٢٢)

الثالثة: أن الدعوة إلى توحيد الله هي أول دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

الرابعة: أن الواجب أن يعبد الله وحده دون سواه لأنه الخالق الرازق وإليه المرجع.

الخامسة: الرد على النصارى في اعتقادهم ألوهية عيسى وبيان أنه عبدالله ورسوله.

السادسة: الرد على اليهود في اعتقادهم ألوهية العزير وزعمهم أنهم على دين موسى وما أرسل موسى إلَّا بالتوحيد.

السابعة: أن التوحيد أساس هذا الدين فالعلم به والاستقامة عليه منهاج الأنبياء عليهم السلام.

الثامنة: أن الشرك ظلم عظيم.

التاسعة: أن تحقيق كلمة الإخلاص يكون بعبادة الله وحده لا شريك له.

العاشرة: بيان أركان الإسلام وأن التوحيد أول هذه الأركان.

الحادية عشرة: بيان أن الدخول في هذا الدين إنما يكون بالتوحيد (أن يشهدوا أن لا إله إلَّا الله وأن محمدًا رسول الله).

◆◆◆◆

تطبيقات

لعلك من خلال مطالعتك لنصوص هذا الفصل تدرك أن جميع الرسل بدؤوا دعوتهم بالدعوة إلى التوحيد فما سر هذا الاهتمام ؟

.....

.....

يسمى ما عبد من دون الله (طاغوتاً) فلماذا ؟ وما معنى الطاغوت ؟

.....

.....

وصف القرآن بقوله: ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ فعلى أي شيء يدل ذلك ؟

.....

.....

يفيد قوله ﷺ: «بني الإسلام على خمس..» الحديث. أن الإسلام ليس هو هذه الخمس، وضح ذلك؟

.....

.....

لماذا سمي الشرك بالله (ظلمًا)؟

.....

.....

الفصل الثالث

فضل من دعا إلى الله عز وجل وعظم ثوابه

قال الله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[1] قال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي -رحمه الله-: «هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر أي لا أحد أحسن قولا أي كلاما وطريقة وحالة ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بتعليم الجاهلين ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها والحث عليها وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه خصوصا [من هذه][2] الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عما يضاده

(١) فصلت: (٣٣).

(٢) ما بين المعكوفين يظهر أنها زائدة وان الأصل «خصوصًا الدعوة إلى أصل دين الإسلام... إلخ».

من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[1].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[2] قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وغيره: «أئمة يقتدى بنا في الخير»[3] لينالوا مثل ثوابهم قال ابن كثير«وقال غيرهم: هداة مهتدين دعاة إلى الخير فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم، وأن يكون هداهم متعديا إلى غيرهم بالنفع وذلك أكثر ثوابا وأحسن مآبا»[4].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[5].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[6]. قال ابن كثير -رحمه الله-: «أي أخلص العمل لربه عز وجل فعمل إيمانا واحتسابا ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي اتبع في عمله ما شرعه الله له وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق.

(١) تفسير ابن سعدي: (٥٧٥/ ٦).
(٢) الفرقان: (٧٤).
(٣) تفسير ابن كثير : (٣٣٠/ ٣).
(٤) المرجع نفسه.
(٥) الأحزاب: (٧٠-٧١).
(٦) النساء: (١٢٥).

وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما، أي يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون متابعًا للشريعة فيصح ظاهره بالمتابعة، وباطنه بالإخلاص فمتى فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد. فمن فقد الإخلاص كان منافقًا وهم الذين يراؤون الناس. ومن فقد المتابعة كان ضالا جاهلًا ومتى جمعهما كان عمل المؤمنين الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم. ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ وهم «محمد وأتباعه إلى يوم القيامة»، قال: «والحنيف هو المائل عن الشرك قصدًا أي تاركًا له عن بصيرة، ومقبل على الحق بكليته لا يصده عنه صاد ولا يرده عنه راد»[1] وملة إبراهيم هي توحيد الله والدعوة إليه والبراءة من الشرك وأهله.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «الحنيفية: هي الاستقامة بإخلاص الدين لله وذلك يتضمن حبه تعالى والذل له لا يُشرَك به شيء لا في الحب ولا في الذل، فإن العبادة تتضمن غاية الحب بغاية الذل وذلك لا يستحقه إلا الله وحده وكذلك الخشية والتقوى لله وحده والتوكل على الله وحده»[2] فتأمل هذا المعنى مع قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۚ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[3].

(١) تفسير ابن كثير: (٥٥٩/ ١).
(٢) مجموعة الفتاوى (٤٦٦/ ١٠).
(٣) الممتحنة: (٤).

وقال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾[1] وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[2] ولا شك أن من دعا إلى الله على بصيرة مخلصًا لله في دعوته داخل في هذا الوعد لأنهم مهتدون وعملهم هذا عمل صالح بل من أفضل الأعمال الصالحة.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به، أو صدقة جارية» رواه مسلم.[3] والدعوة إلى الله من باب تعليم العلم النافع.

وعن جرير بن عبدالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا يَنْقَصُ من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا يَنْقَصُ من أوزارهم شيء» رواه مسلم.[4]

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا يَنْقُصُ ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا يَنْقُصُ ذلك من آثامهم شيئا» رواه مسلم.[5]

(١) سورة مريم: (٧٦).
(٢) سورة الحج: (٥٠).
(٣) رواه مسلم في كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته حديث (١٦٣١) .
(٤) رواه مسلم في كتاب الزكاة ، باب من الحث على الصدقة ولو بشق تمرة حديث (١٠١٧) .
(٥) رواه مسلم في كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة حديث (٢٦٧٤) .

قال النووي -رحمه الله-: «هذان الحديثان صريحان في الحث على استحباب سن الأمور الحسنة وتحريم سن الأمور السيئة، وأن من سن سنة حسنة كان له مثل أجر كل من يعمل بها إلى يوم القيامة وأن من سن سنة سيئة كان عليه مثل وزر من يعمل بها إلى يوم القيامة وأن من دعا إلى هدى كان له مثل أجور متابعيه، أو إلى الضلالة كان عليه مثل آثام متابعيه سواء كان ذلك الهدى هو الذي ابتدأه أم كان مسبوقا إليه، وسواء كان ذلك بتعليم علم أو عبادة أو أي أدب أو غير ذلك»[1].

وقال أبو موسى الأشعري ﷺ: «من يتبع القرآن يهبط به على رياض الجنة»[2].

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: فضل من دعا إلى الله تعالى وأنه لا أحد أحسن قولًا منه وتفسير ذلك.

الثانية: فضل الدعوة إلى الله، وبيان أهمية العمل الصالح لمن دعا إلى الله تعالى.

الثالثة: فضل من جمع بين الدعوة إلى الله والعمل الصالح والانتماء إلى المسلمين الذين أسلموا لله بالتوحيد وانقادوا له بالطاعة وخلصوا من الشرك.

(١) شرح صحيح مسلم للإمام النووي: (١٦/ ٢٢٦).
(٢) تفسير ابن كثير: (١/ ١٦٤).

الرابعة: فضل رسول الله ﷺ، فهو إمام كل داع إلى الله تعالى على بصيرة، ولهذا كان الحسن البصري -رحمه الله- إذا تلا هذه الآية ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يقول: «هذا رسول الله، هذا حبيب الله، هذا ولي الله هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا -والله- أحب أهل الأرض إلى الله وأجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحًا في إجابته وقال إنني من المسلمين، هذا خليفة الله».[1]

الخامسة: في هذه الآية أيضا معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ لقوله: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ لأن العمل إذا وافق القول كان تصديقًا.

السادسة: فضل الإمامة في الدين وأن أهلها هم الهداة المهتدون ففيها معنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

السابعة: شفقة أهل التقوى على أزواجهم وذرياتهم وحرصهم عليهم وأنه بصلاحهم تقر عيونهم.

الثامنة: حرص دعاة الخير والهدى على استمرار الخير فيمن بعدهم وما ذلك إلا لعلمهم بالله وما يقرب إليه من الطاعات من واجبات ومستحبات من أفعال وتروك ولم يكن علمهم هذا مأخوذًا

(١) تفسير ابن كثير: (١٠١/ ٤).

من غير شرع الله لأنه وحده (المرجع في القرب والطاعات والديانات والمستحبات)[1].

التاسعة: أن الإخلاص والمتابعة شرطان في صحة العمل ومنه الدعوة إلى الله تعالى.

العاشرة: بيان المراد بملة إبراهيم وإيضاح معنى الحنيف.

الحادية عشرة: بشارة من دعا إلى الله على بصيرة بزيادة الهدى وهو من الثواب العاجل الذي ينبني عليه زيادة العمل الصالح فيعظم به ثواب الآخرة.

الثانية عشرة: أن الإيمان والعمل الصالح ومنه الدعوة إلى الله من أسباب مغفرة الذنوب والرزق الكريم.

الثالثة عشرة: أن الدعوة إلى الله من العلم النافع الذي يُنْتَفَعُ به بعد الموت فهي من العمل الذي لا ينقطع ثوابه بالموت فتدخل في قوله «أو علم ينتفع به» وتدخل بعض صورها في قوله «من سن سنة حسنة».

◆◆◆◆

(١) الاستقامة: (٢٤٨/ ١).

تطبيقات	
اذكر جوانب الفضل لمن دعا إلى الله على بصيرة من خلال نصوص هذا الفصل؟	
لما ذا يحرص أهل الخير من دعاة الهدى على استمرار الخير فيمن بعدهم؟	
اشرح قول أبي موسى رضي الله عنه: «من اتبع القرآن يهبط به على رياض الجنة»؟	

الفصل الرابع

أن الدعوة إلى الله تعالى من لوازم عموم رسالة النبي ﷺ إقامةً للحجة وبيانًا للمَحَجة وكشفًا لشبه الزائغين وردًا لكيد الكائدين

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

قال أبو حيان الأندلسي -رحمه الله-: «أمر الله نبيه بإشهار دعوته ورسالته إلى الناس كافة والدعاء إلى الإيمان بالله ورسوله وكلماته واتباعه. ودعوة رسوله ﷺ للإنس والجن قاله الحسن وتقتضيه الأحاديث»[2].

(١) سورة الأعراف: (١٥٨).

(٢) البحر المحيط: (٤٠٥/ ٤).

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[1].

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي -رحمه الله-:«يخبر تعالى أنه ما أرسل رسوله ﷺ إلَّا ليبشر جميع الناس بثواب الله ويخبرهم بالأعمال الموجبة لذلك وينذرهم عقاب الله ويخبرهم بالأعمال الموجبة له، فليس لك من الأمر شيء وكل ما اقترح أهل التكذيب والعناد فليس من وظيفتك إنما ذلك بيد الله تعالى»[2].

وقال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴾[3].

قال ابن كثير -رحمه الله-: «فهذه الآية نص على أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأحرى؛لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كل رسول نبي ولا ينعكس وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم»[4].

وقال تعالى: ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾[5].

(١) سورة سبأ: (٢٨).
(٢) تفسير ابن سعدي: (٦/ ٢٨٢).
(٣) سورة الأحزاب: (٤٠).
(٤) تفسير ابن كثير: (٣/ ٤٩٣).
(٥) سورة النساء: (١٦٥).

قال ابن كثير -رحمه الله-: «أي أنه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنذارة وبين ما يحبه ويرضاه مما يكرهه ويأباه لئلا يبقى لمعتذر عذر»[1].

وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾[2].

قال القرطبي -رحمه الله-: «أي ليبين لكم أمر دينكم ومصالح أمركم وما يحل لكم وما يحرم عليكم وذلك يدل على امتناع خلو واقعة عن حكم الله تعالى»[3].

قال ابن كثير -رحمه الله-: «يخبر تعالى أنه يريد أن يبين لكم ما أحل لكم وما حرم عليكم مما تقدم ذكره في هذه السورة وغيرها ﴿وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ يعني طرائقهم الحميدة واتباعهم شرائعه التي يحبها ويرضاها ﴿وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي من الإثم والمحارم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ أي في شرعه وقدره وأفعاله وأقواله. وقوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾ أي يريد أتْباع الشياطين من اليهود والنصارى والزناة أن تميلوا عن الحق

(١) تفسير ابن كثير: (١/ ١٨٨).
(٢) سورة النساء: (٢٦-٢٨).
(٣) القرطبي: (٥/ ١٤٧).

إلى الباطل ميلًا عظيمًا ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ أي في شرائعه وأوامره ونواهيه وما يقدره لكم ولهذا أباح الإماء بشروط كما قال مجاهد وغيره ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ فناسبه التخفيف لضعفه في نفسه وضعف عزمه وهمته»[1].

وفي حديث جابر بن عبدالله ﷺ: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» متفق عليه.[2]

وفي حديث أنس ﷺ في الإسراء قال ﷺ: «ففرض الله على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال: ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة قال فارجع فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجع فوضع شطرها» متفق عليه.[3] وعند البخاري في كتاب التوحيد: «فقال: يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه فأمتك أضعف أجسادًا وقلوبًا وأبدانًا وأبصارًا وأسماعًا فارجع فليخفف عنك ربك» وفيه فرفعه عند الخامسة فقال: «يا رب أمتي ضعفاء، أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفف عنا» فقال الجبار: يا محمد، قال «لبيك وسعديك» قال إنه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في أم الكتاب. قال: فكل حسنه بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك».[4]

وعن أنس ﷺ: «لا يأتي عليكم زمان إلّا الذي بعده شر منه؛ حتى

(١) تفسير ابن كثير: (٤٧٩/ ١).
(٢) رواه البخاري في كتاب التيمم ، باب قوله تعالى (فلم يجدوا ماء) حديث (٣٢٨) ، ورواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث (٥٢١) .
(٣) رواه البخاري في كتاب الصلاة ،باب كيف فرضت الصلوات الخمس في الإسراء حديث (٣٤٢) ، ورواه مسلم في كتابا لإيمان ، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم حديث (١٦٣) .
(٤) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله (وكلم الله موسى تكليماً) حديث (٧٠٧٩).

تلقوا ربكم سمعته من نبيكم ﷺ» رواه البخاري.[1]

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» متفق عليه.[2]

وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ليس أحد أحب إليه المدح من الله عز وجل من أجل ذلك مدح نفسه وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش وليس أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل» متفق عليه[3] واللفظ لمسلم.

وعن عثمان بن عفان ﷺ عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وفي رواية «أفضلكم». رواه البخاري.[4]

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: الأمر بإشهار رسالته ﷺ للناس جميعًا وقد قام النبي ﷺ بهذا الأمر فأعلن ذلك في مجامع الناس على اختلاف أديانهم من يهود ونصارى ومشركين وعن طريق كتبه للملوك والرؤساء وقال للناس «ليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع»، وقال: «بلغوا عني ولو آية»، فدخل في ذلك الدعوة إلى الله تعالى.

(١) رواه البخاري في كتاب الفتن ، باب لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه حديث (٦٦٥٧)
(٢) رواه البخاري في كتاب العلم ، باب كيف يقبض العلم ، حديث (١٠٠) ، ورواه مسلم في كتاب العلم ، باب رفع العلم وقبضه حديث (٢٦٧٣) .
(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير ، باب ولا تقربوا الفواحش حديث (٤٣٥٨) ورواه مسلم في كتاب التوبة ، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش حديث(٢٧٦٠/ ٣٥).
(٤) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه حديث (٤٧٣٩)

الثانية: الإخبار بأن رسالة النبي ﷺ لكافة الناس عربهم وعجمهم سواء أكانوا من أهل الكتاب أم لا. يستوي في هذا من كان في عهده ومن جاء بعده إلى يوم القيامة ويتضمن لفظ البشارة والنذارة بيان ما يبشر به من الأعمال والأقوال والمعتقدات وما ينذر عنه من ذلك فدخل في ذلك الدعوة إلى الله تعالى. ففيها معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ الآيتين[1]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2].

الثالثة: أن رسول الله ﷺ خاتم النبيين فلا نبي بعده عليه الصلاة والسلام وإذا كان كذلك فلا بد ممن يحمل رسالته إلى يوم القيامة ولن يحملها على وجهها الصحيح سوى ورثته من أهل العلم بالذكر الحكيم والسنة المطهرة ففيها معنى قوله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلَّا أنه ليس نبي بعدي». متفق عليه.[3] وقوله ﷺ: «إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا

(١) سورة إبراهيم: (٤٤، ٤٥).
(٢) سورة الزمر: (١٧/ ١٨).
(٣) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة تبوك حديث (٤١٥٤)، ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه حديث (٢٤٠٤).

دينارًا ولا درهمًا إنما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر» رواه الترمذي وابن ماجه.[1]

الرابعة: أن الله إنما أرسل رسله وأنزل كتبه قطعًا للمعاذير وإقامة للحجة ولا يتأتى ذلك إلَّا باستمرار الدعوة إلى الله على منهاج رسل الله عليهم الصلاة والسلام ففيها معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[3] فأي عذر يكون لمن أهمل هذا الكتاب عملًا به ودعوة إليه بعد هذا البيان.

الخامسة: رحمة الله تعالى بهذه الأمة حيث بين لها ما يحل وما يحرم وأرشدها لسنن الصالحين من أتباع الأنبياء وحذرها من أتباع الشياطين من اليهود والنصارى وذوي الفواحش وأخبرها بمقاصدهم وبين أنه يريد أن يتوب عليها من المآثم والمحارم وأخبر أنه راعى ضعفها فيما شرع من شرائع فخفف عنها فلزم من هذا نشر ما أراد الله بها من إيضاح الحلال والحرام في العقائد والمعاملات والأخلاق والتحذير ممن حذر منهم حتى تعم هذه الرحمة كافة الناس ففيها معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[4].

(١) رواه الترمذي في أبواب العلم، باب فضل الفقه على العبادة. حديث (٢١٥٩ / ٢٨٣٥) صحيح السنن، ورواه ابن ماجة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم حديث (١٨٢/ ٢٢٣) صحيح السنن.
(٢) سورة آل عمران: (١٨٧).
(٣) سورة الأنبياء: (١٠).
(٤) سورة الأنبياء: (١٠٧).

السادسة: في حديث جابر بن عبدالله ﷺ معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾.

السابعة: في حديث أنس ﷺ في الإسراء معنى قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾.

الثامنة: أن الحاجة للدعوة إلى الله تعالى تشتد كلما تباعد العهد من النبوة لحديث: «لا يأتي عليكم زمان إلَّا الذي بعده شر منه».(١)

التاسعة: فضل أهل العلم وأن وجودهم أمان من الضلال بإذن الله تعالى ولا يكونون كذلك إلَّا إذا قاموا بواجب الدعوة إلى الله تعالى.

العاشرة: إثبات صفة الغيرة لله تعالى على الوجه الذي يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه وفيها التحذير من الفواحش وأنه تعالى يحب المدح ويحب العذر وأن من مقاصد شرعه بيان الطريق لرجوع عباده إليه ففيه معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ ومعلوم أن ذلك يتوقف على نشر دينه وتبيينه للناس فيدخل فيه الدعوة إلى الله تعالى.

الحادية عشرة: فضل من تعلم القرآن وعلمه وأنه خير هذه الأمة وأفضلها ولا شك أن ذلك من قواعد الدعوة إلى الله في كل مكان وزمان. وعلى ذلك دأب السلف الصالح رحمة الله عليهم أجمعين.

(١) تقدم تخريجه تقريباً.

تطبيقات

بين من خلال قراءتك لهذا الفصل كيف يحقق الداعية مايلي:

١- إقامة الحجة على الناس بالدعوة إلى الله؟

. . . . . .

. . . . . .

٢- بيان المحجة (وهي الطريق) بالدعوة إلى الله؟

. . . . . .

. . . . . .

٣- كشف الشبه ورد كيد الكائدين بالدعوة إلى الله؟

. . . . . .

. . . . . .

قال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾ [النساء:٢٧]

ما هو المراد بالشهوات هنا؟

. . . . . .

. . . . . .

الفصل الخامس

أن دعاة الهدى على صراط مستقيم

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1] بين سبحانه أنه ﷺ يدعو الناس إلى صراط مستقيم، وهو ما جاء به من عند الله من الهدى والنور وهو الإسلام كما قال أبو العالية: «عليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام»[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[3] بين تعالى أن رسول الله ﷺ على صراط مستقيم وأنه هو الذي هداه إليه؛ لأنه ربه ولا رب له سواه، وأن هذا الصراط الذي هدى نبيه إليه دين قيم، وأن إبراهيم عليه السلام كان على ذلك

---

(١) سورة المؤمنون: (٧٣).

(٢) الاستقامة: (٢٥٤/ ١).

(٣) سورة الأنعام: (١٦١).

﴿حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ومن اتبع النبي ﷺ في دعوته هم على هذا الصراط في دعوتهم وفي أنفسهم. وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1] والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الصراط المستقيم، فتبين بهذا أن دعاة الهدى هم الدعاة إلى الخير وهكذا أنبياء الله وأتباعهم وقد جمع الله لهم الخير فيما أعطاهم من الهدى ولهذا جاء في معنى الخير أنه الكتاب والسنة[2] وما ذلك إلا لانحصار الخير في اتباعهما وهما الصراط المستقيم وإنما يدعون إلى الخير لأنهم من أهله ولهذا أفلحوا فلو لم يكونوا كذلك ما وصلوا إلى هذه النتيجة. وقال تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾[3] فوصف الله دعوة رسوله ﷺ بأنها دعوة إلى الهدى وما كان لدعوة الهدى أن ترد لولا أن الله قد طبع على قلوبهم بما كسبوا.

قال أبو حيان الأندلسي -رحمه الله- وهذا من العام المراد به الخصوص وهو من طبع الله على قلبه وقضى عليه بالموافاة على الكفر إذ قد اهتدى كثير من الكفرة[4].

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا

(١) سورة آل عمران: (١٠٤).
(٢) تفسير ابن كثير: (٣٩٠/ ١).
(٣) سورة الكهف: (٥٧).
(٤) البحر المحيط: (١٤٠/ ٦).

أمرهم، أمرهم من الأعمال بما يطيقون. قالوا إنا لسنا كهيئتك يا رسول الله إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه ثم يقول: إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا»[1].

فتبين بهذا أن أهل الهدى أهل تيسير ورحمة وبر وتقوى لله تعالى وعلم به سبحانه وهذا هو الصراط المستقيم بخلاف دعاة الضلالة. وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن بعض المشايخ أنه إذا أمر بعض متبعيه بالتوبة وأحب أن لا ينفر ولا يشعب قلبه أمره بالصدق[2] وذلك لأن الصدق يهدي إلى البر كما صح بذلك الخبر عن رسول الله ﷺ وقال مسروق: «ما نسأل أصحاب محمد عن شيء إلا وعلمه في القرآن ولكن علمنا قصر عنه»[3].

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: أن دعوة النبي ﷺ إلى صراط مستقيم أي طريق لا عوج فيه وهو الإسلام.

الثانية: أن الرسول ﷺ على صراط مستقيم في أقواله وأعماله وعقيدته وحركته وسكونه لقوله تعالى: ﴿هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

الثالثة: أن الصراط الذي هدي إليه رسول الله ﷺ هو الدين القيم

(١) رواه البخاري، في كتاب الإيمان ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (أنا أعلمكم بالله) وأن المعرفة فعل القلب حديث (٠٢) .
(٢) مجموع الفتاوى: (١١/ ١٠).
(٣) درء تعارض العقل والنقل: (٢٠٨/ ١).

لقوله تعالى: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ أي قيمًا.

الرابعة: أن إبراهيم عليه السلام على مثل ذلك لقوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

الخامسة:أن هذا الصراط هو التوحيد لقوله: ﴿حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

السادسة: أن الإسلام يدعو إلى الخير وهو الهدى والنور وبه يأمر أتباعه عملًا به ودعوة إليه ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾.

السابعة: أن الخير كله في اتباع الكتاب والسنة وهو الإسلام وشرائعه التي شرعها الله لعباده لتفسير السلف معنى الخير بذلك ومن تأمل فيما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في الأمور المحمودة والمذمومة شرعًا سهل عليه إدراك ذلك إن شاء الله تعالى فإنه قال: (والأمور المذمومة في الشريعة... هو ما ترجح فساده على صلاحه كما أن الأمور المحمودة ما ترجح صلاحه على فساده فالحسنات تُغَلّب فيها المصالح والسيئات تغلب فيها المفاسد)[1] فإن هذا الميزان لا تكاد تخرج عنه مسألة من مسائل الدين والدنيا .

الثامنة: الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث نبه عليه مع كونه داخلًا في معنى الخير.

التاسعة: فضل دعاة الخير وأنهم ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ في الدنيا والآخرة

(١) الاستقامة: (١/ ٤٦١).

لعموم هذا اللفظ.

العاشرة: أنه لا يمتنع من دعوة الإسلام إلا من طبع الله على قلبه وفي ذلك تحريض على الدعوة إلى الله لأنه لا يعلم من طبع على قلبه إلا الله فليس كل من أمتنع من قبول الحق في وقت مطبوعًا على قلبه مختومًا له بالشقاء.

الحادية عشرة: سماحة دين الإسلام ويسر تعاليمه حيث لا يؤمر أحد إلا بما يطيق ففيه معنى الحديث الآخر: «عليكم من الأعمال بما تطيقون».

الثانية عشرة: غضبه ﷺ حين قيل له: «إنا لسنا كهيئتك يا رسول الله...الخ»، منبهًا إلى مسألة عظيمة وهي أن العبد كلما كان بالله أعلم كان له أشد خشية ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ وكان أحرص على اتباع سبيل الهدى.

الثالثة عشرة: أن رسول الله ﷺ أعلم هذه الأمة بالله وأتقاها له سبحانه وتعالى. ففيه تنبيه على ضلال غلاة الصوفية حيث يرون سقوط التكاليف عن العارف بالله[1] وفيه تأويل قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2] حيث دل الحديث على لزوم المتابعة وهو كالتعليل لهذه الآية الكريمة.

(١) انظر مجموع الفتاوى: (٦٠٥-٦٠٧/ ١١).

(٢) سورة الأحزاب: (٢١).

الرابعة عشرة: فيه تنبيه على ضلال من يدعي الهدى مع مجانبته لهدي الكتاب والسنة لقول الصحابة: «إنا لسنا كهيئتك يا رسول الله» وما رد به رسول الله ﷺ، فإنهم قالوا ذلك حين تقالّوا عبادة رسول الله ﷺ وظنوا أن السبب كون الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فأخبرهم أنه أعلمهم بالله وأتقاهم له منبهًا بذلك إلى ضرورة متابعته في هديه وأن ما يعمله هو ما شرعه الله له ففيه معنى قوله: «من رغب عن سنتي فليس مني».

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «كل علم دين لا يطلب من القرآن فهو ضلال»[1] وقال: «كانوا -أي الصحابة والتابعون- يجعلون القرآن يحيط بكل ما يطلب من علم الدين»[2].

وقال الشعبي: «ما ابتدع قوم بدعة إلَّا في كتاب الله بيانها»[3] وفي الحديث: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي».

◆◆◆◆

(١) الاستقامة: (٢١/ ١).
(٢) درء تعارض العقل والنقل: (٢٠٨/ ١).
(٣) نفس المرجع.

تطبيقات

تضمن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المؤمنون: ٧٣] أربع تزكيات لدعوة الإسلام أذكرها؟

١. .....
٢. .....
٣. .....
٤. .....

استخلص من نصوص هذا الفصل صفات دعاة الهدى التي يتبين بها أنهم فعلاً على صراط مستقيم؟

١. .....
٢. .....
٣. .....
٤. .....
٥. .....

قال تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧]؟

هل هذا الحكم عام في جميع المدعوين ؟

وهل يدعى من علم منه عدم القبول ؟ مع التعليل.

.....
.....

الفصل السادس

في بيان منهج النبوة في الدعوة إلى الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[1] قال الشيخ ابن سعدي -رحمه الله-: (أي ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح بالحكمة أي كل أحد على حسب حاله وفهمه وقبوله وانقياده... فإن انقاد بالحكمة وإلا فينتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها. وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقم به. وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل، وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل، فإن كان المدعو

(١) سورة النحل: (١٢٥).

يرى أن ما هو عليه حق أو كان داعية إلى الباطل فيجادل بالتي هي أحسن؛ وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلًا ونقلًا، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها فإنه أقرب إلى حصول المقصود وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها[1]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[2] وهذه الآية كالتعليل للآية السابقة والمعنى أنه عليه الصلاة والسلام إنما أمر بالدعوة بهذه الصفة لأنه أرسل رحمة للعالمين

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان محمد ﷺ رحمة لجميع الناس فمن آمن به وصدق به سعد، ومن لم يؤمن به سلم مما لحق الأمم من الخسف والغرق)[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «والله بعث محمدًا بالكتاب والحكمة وجعله رحمة للعباد وهاديا لهم يأمر كل إنسان بما هو أصلح له»[4] ووجَّه -رحمه الله- إلى أن على كل أحد أن يأتي من طاعة الله ورسوله بما استطاعه[5].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (٢٥٤، ٢٥٥/ ٤).
(٢) سورة الأنبياء: (١٠٧).
(٣) تفسير القرطبي: (٣٥٠/ ١١).
(٤) مجمع الفتاوى: (٤٢٨/ ١٠).
(٥) المصدر نفسه: (٤٣٤،٤٣٣/ ١٤).

وقال -رحمه الله-: «فما يقدر عليه من العبادات أفضل في حقه مما يعجز عنه وإن كان جنس المعجوز عنه أفضل»[1].

وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا أنبؤكم بالفقيه حق الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم في معاصي الله ولم يؤمنهم مكر الله»[2].

وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: (بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم) متفق عليه.[3]ومن النصح أن تدعوه إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة...إلخ وعن زياد بن علاقة قال: (سمعت جرير بن عبدالله يقول يوم مات المغيرة بن شعبة قام: فحمد الله وأثنى عليه وقال: عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له والوقار والسكينة حتى يأتيكم أمير فإنما يأتيكم الآن. ثم قال: استعفوا لأميركم فإنه كان يحب العفو[4] ثم قال: أما بعد فإني أتيت النبي ﷺ قلت أبايعك على الإسلام فشرط عليّ، والنصح لكل مسلم «فبايعته على هذا». ورب هذا المسجد إني لناصح لكم ثم استغفر ونزل). رواه البخارى.[5] فدعاهم رضي الله عنه إلى جماع الخير وهو لزوم تقوى الله ونبههم على ما يعينهم في ساعتهم وهو لزوم الوقار والسكينة لئلاّ يتسلل إليهم شياطين الإنس والجن فيوقعوا الفتنة بينهم وأخبرهم أنما قاله لهم هو

(١) المصدر نفسه: (٤٢٨/ ١٠).
(٢) تذكرة الحفاظ: (١٣/ ١).
(٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان ، باب الدين النصيحة ، حديث (٥٨،٥٧) ، ورواه مسلم في الإيمان ، باب إن الدين النصيحة حديث (٥٦) .
(٤) كان المغيرة واليا على الكوفة في خلافة معاوية ابن أبي سفيان وكانت وفاته سنة خمسين من الهجرة النبوية.
(٥) رواه البخاري في كتاب الإيمان ، باب الدين النصيحة حديث (٥٨).

مقتضى النصح الذي بايع عليه رسول الله ﷺ مؤكدًا ذلك بيمينه فقد استعمل رضي الله عنه في مقامه هذا الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: بيان المنهج الصحيح للدعوة إلى الله وأنه الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

الثانية: بيان البصيرة التي وصفت بها دعوة النبي ﷺ وأنها الدعوة بالحكمة.. إلخ.

الثالثة: وجوب التزام هذا المنهج في الدعوة إلى الله تعالى لأن الله أمر به والأمر ظاهر في الوجوب.

الرابعة: فضل رسالة النبي ﷺ وأنها رحمة للعالمين برهم وفاجرهم.

الخامسة: تأكيد هذا المنهج القويم بقيامه على قاعدة النصح لكل مسلم.

السادسة: التزام جرير بما بايع عليه رسول الله ﷺ يمثل أنموذجًا لهذا المنهج الدعوي الجليل.

السابعة: بيان الأصول التي يبنى عليها هذا المنهج النبوي وعلامة الفقه في الدين.

تطبيقات

قوله تعالى : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

هذه الآية ترسم المنهج النبوي في الدعوة إلى الله بين ذلك من خلال نصوص هذا الفصل مع التوجيه لما تقول؟

.....

.....

.....

بين المراد بالكلمات التالية:

الحكمة، الموعظة الحسنة، المجادلة بالتي هي أحسن ، البصيرة، مع التمثيل لما تقول؟

.....

.....

.....

.....

متى تتحقق في الشخص صفة الفقه في الدين ؟

.....

.....

الفصل السابع

أن دعوة الهدى دعوة إلى الله وإلى سبيله

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾[1] قال ابن سعدي -رحمه الله-: «هذه الأشياء التي وصف بها رسوله محمدًا ﷺ هي: المقصود من رسالته وزبدتها وأصولها التي أختص بها»[2] وقوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ﴾ أي «داعيًا الخلق إلى عبادة ربهم عن أمره»[3] وقال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾[5].

---

(١) سورة الأحزاب: (٤٥، ٤٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (٦/ ٢٣١).

(٣) تفسير ابن كثير: (٣/ ٤٩٧).

(٤) سورة النحل: (١٢٥).

(٥) سورة التوبة: (٣٣)، وسورة الصف: (٩).

وعن عطاء بن يسار، قال: لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح بها أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا»[1]

وعن عبد الله بن زيد بن عاصم قال: لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس وفي المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئًا فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال ﷺ: يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي، كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أمنّ، قال: ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ قال: كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أمنّ. قال: لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا. ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم. لولا الهجرة لكنت امرًا من الأنصار ولو سلك الناس واديًا وشعبًا لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار إنكم ستلقون بعدي أثرةً فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»[2].

(١) رواه البخاري في كتاب البيوع ، باب كراهية السخب في الأصواق حديث (٢٠١٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي ، باب غزوة الطائف حديث (٤٠٧٥) ورواه مسلم في كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام حديث (١٠٦١).

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: بيان المهمة التي بعث من أجلها رسول الله ﷺ.

الثانية: وعد الله لنبيه بإظهار دينه على الدين كله.

الثالثة: التنبيه بقوله: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ إلى أن كل من دعا إلى الله يجب أن يتقيد بشرعه ففيها معنى قوله ﷺ: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد» رواه مسلم.

الرابعة: أنَّ دعوة الهدى هي الدعوة إلى الله وإلى سبيله بإذنه ويكون ذلك بالمتابعة والإقتداء بالنبي ﷺ لقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾.

الخامسة: مطابقة صفة النبي ﷺ التي في التوراة لصفته في القرآن، ففيه معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[1].

السادسة: ما في قوله ﷺ: «ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي... إلخ» من تأويل الآية الكريمة الأولى ففيها معنى قول عائشة حين سئلت عن خلقه ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن» متفق عليه.

السابعة: حكمته ﷺ في تعامله مع المؤلفة قلوبهم ومعالجته لما نجم عن ذلك لدى الأنصار حتى تحول ما يعد محنة إلى منحة يغبطون عليها.

الثامنة: عظم شأن الهجرة عند الله تعالى، وعظم منزلة الأنصار عند رسول الله ﷺ.

◆◆◆◆

(١) سورة المائدة: (٤٨).

تطبيقات

ما هو المقصود بالدعوة إلى الله وإلى سبيله ؟

.....

.....

.....

ما هي المهمة التي بعث بها النبي ﷺ؟

.....

.....

.....

.....

ما معنى قوله: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤٦]؟

وهل يعتبر هذا فارقًا بين دعاة الهدى ودعاة الضلالة؟

.....

.....

.....

الفصل الثامن

أن من دعوة الهدى استمساك من يدعو إلى الله بهداه الذي أنزله على رسوله ﷺ

قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1]

أي على نور من ربهم وبرهان واستقامة وسداد بتسديد الله إياهم[2].

وهم المتقون ويدخل فيهم الدعاة إلى الله دخولًا أوليًّا.

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ

(١) سورة البقرة: (٥).

(٢) تفسير الطبري: (١/ ٢٤٩).

(٣) سورة هود: (٨٨).

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[3].

قال الشيخ ابن سعدي: يقول تعالى لنبيه ﷺ ﴿قُلۡ﴾ للناس ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ أي طريقي التي أدعو إليها وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي أحث الخلق والعباد على الوصول إلى ربهم وأرغبهم في ذلك وأرهبهم مما يبعدهم عنه ومع هذا فأنا ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ من ديني أي على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية ﴿أَنَا۠﴾ وكذلك ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ يدعو إلى الله كما أدعو على بصيرة من أمره ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ عن ما ينسب إليه مما لا يليق بجلاله

(١) سورة الأعراف: (٨٨، ٨٩).
(٢) سورة يونس: (١٥).
(٣) سورة يوسف: (١٠٨).

أو ينافي كماله ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ في جميع أموري بل أعبد الله مخلصًا له الدين)[1].

ولا شك أن من سبيله الاستمساك بهدى الله الذي أنزله عليه كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[2].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾[4] واليقين: الموت كما قال سالم بن عبدالله -رحمه الله-[5].

قال ابن كثير -رحمه الله-: «ويستدل بها على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم وهذا كفر وضلال وجهل فإن الأنبياء عليهم السلام وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحقه من التعظيم وكانوا مع هذا أعبد وأكثر الناس عبادة ومواظبة

(١) سورة الزمر: (٦٥، ٦٦).
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٦٣/ ٤).
(٣) سورة الزخرف: (٤٣).
(٤) سورة الحجر: (٩٩).
(٥) رواه البخاري في التفسير معلقا بصيغة الجزم.

على فعل الخيرات إلى حين الوفاة وإنما المراد باليقين ههنا الموت»[1].

وقال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ﴾[3] وهو الحكمة وهي البصيرة كما تقدم بيانه.

عن عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي ﷺ قال: (من القوم أو من الوفد؟ قالوا: ربيعة. قال: (مرحبًا بالقوم -أو بالوفد- غير خزايا ولا ندامى) فقالوا: يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة وسألوه عن الأشربة: فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع؛ أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس.

(١) تفسير ابن كثير: (٢/ ٥٦٠).
(٢) سورة التوبة: (١١٣، ١١٤).
(٣) سورة الأنبياء: (٤٥).

ونهاهم عن أربع؛ عن الحنتم[1] والدباء والنقير والمزفت وربما قال: المقير. وقال احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم)[2] . فانظر إلى قوله ﷺ: «احفظوهن..إلخ». مع قولهم: «فمرنا بأمر فصل... إلخ» تجد الربط بين القول والعمل».

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلوا رفقاء. رفقة مع فلان ورفقة مع فلان قال فنزلت في رفقة أبي بكر وكان معنا أعرابي من أهل البادية فنزلنا بأهل بيت من الأعراب وفيهم امرأة حامل فقال لها الأعرابي إني لأبشرك أن تلدي غلامًا. إن أعطيتني شاة، ولدت غلامًا فأعطته شاة وسجع لها أساجيع قال فذبح الشاة فلما جلسوا القوم يأكلون قال رجل أتدرون ما هذه الشاة فأخبرهم قال فرأيت أبا بكر متبرزًا مستقبلًا يتقيأ»[3] فانظر هذا الفعل من أبي بكر الصديق رضي الله عنه فإنك تجد فيه صدق الاستمساك وقوة المتابعة

(١) والحنتم: هي الجرة ونقل الحافظ في الفتح عن الحربي أنه روى في الغريب عن عطاء: أنها كانت تعمل من طين وشعر ودم والمراد الانتباذ فيها، والدباء هو القرع والمراد الباب منه، والنقير: ما ينقر في أصل النخلة فيتخذ منه وعاء، والمزفت: ما طلي بالزفت، والمقير: ما طلي بالقار. وعن أبي بكرة قال: «وأما الدباء كان أهل الطائف يأخذون القرع فيخرطون فيه العنب ثم يدفنونه حتى يهدر ثم يموت، وأما النقير: كان أهل اليمامة ينقرو أصل النخلة ثم ينبذون الرطب والبسر ثم يدعونه حتى يهدر ثم يموت وأما الحنتم: فجرار كانت تحمل إلينا فيها الخمر وأما المزفت: فهذه الأوعية التي فيها الزفت». رواه أبو داود الطيالسي في مسنده وحسنه الحافظ في الفتح.
(٢) متفق عليه • رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة ، باب منيبين إليه واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ، حديث (٥٠٠) ، ورواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وشرائع الدين ، والدعاء إليه والسؤال عنه ، وحفظه ، وتبليغه من لم يبلغه حديث (٢٣)
(٣) رواه أحمد في كتاب الصحابة بسند صحيح.

بالشرع وشدة الخوف من الله.

وقال أبو الدرداء: «إنما أخاف أن يكون أول ما يسألني عنه ربي أن يقول: قد علمت فما عملت فيما علمت؟»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: فمجرد علم القلب بالحق إن لم يقترن به عمل القلب بموجب علمه مثل محبة القلب له واتباع القلب له لم ينفع صاحبه بل أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه»[٢] وقال: «ليس لله ولي إلَّا من اتبعه باطنًا وظاهرًا فصدقه فيما أخبر به من الغيوب والتزم طاعته فيما فرض على الخلق من أداء الواجبات وترك المحرمات»[٣].

وعن مسروق قال: جاءت امرأة إلى ابن مسعود ﷺ فقالت: تنهى عن الواصلة؟ قال: نعم، قالت فعله بعض نسائك فقال ما حفظت وصية العبد الصالح إذًا ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾[٤].

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: أن أهل التقوى هم أهل الاستقامة على هدى الله في الحياة الدنيا وهم المفلحون في الآخرة وأن من دعا إلى الله على بصيرة فهو منهم.

الثانية: إن استمساك الداعي إلى الله بالهدى الذي جاءه من عند

(١) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي: (٤١).
(٢) مجموع الفتاوى: (٢٧١/ ١٠).
(٣) المصدر نفسه: (٤٣١/ ١٠).
(٤) تفسير ابن كثير: (٤٥٧٧/ ٢).

الله في غاية الأهمية وتركه تنكب عن الصراط وخروج عن الرشاد الذي هو العمل بالحق وأنه لا يليق بالداعية أن يخالف ما يدعو إليه لأن ذلك ينقص دعوته ويسقط حجته ويعرضه للعقوبة.

الثالثة: أن الدعوة إلى الله سعي في الإصلاح بقدر الاستطاعة ففيه معنى قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

الرابعة: أن الدخول في ملة الكفر افتراء على الله وأشده وأعظمه جرمًا أن يدخل فيه من كان داعيًا إلى الله وإلى توحيده وطاعته.

الخامسة: بيان منهج دعوة النبي ﷺ وأنها الدعوة إلى الله على بصيرة.

السادسة: أن أتباع النبي ﷺ يدعون إلى الله على بصيرة أيضًا.

السابعة : وجوب تنزيه الله عما لا يليق به سبحانه.

الثامنة: أن من أهم صفات الداعية إلى الله ترك الشرك والبراءة من أهله.

التاسعة: وجوب متابعة النبي ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى.

العاشرة: أن الشرك بالله تعالى محبط للعمل موجب لغضب الله مهما كان عامله فليحذر الداعية إلى الله الوقوع في هذا الداء العضال.

الحادية عشرة: وجوب ملازمة طاعة الله وعبادته حتى الموت وأن القول بخلاف ذلك زندقه وإلحاد بل هو كفر وضلال وجهل.

الثانية عشرة: تحريم الاستغفار للمشركين ولو كانوا من ذوي القربى لأن ما هم عليه يناقض التوحيد الذي يدعو إليه والبراءة من

الشرك وأهله واجبة.

الثالثة عشرة: أن النذارة تكون بالوحي لاعتمادها على الخبر وذلك لا يكون إلَّا بالوحي لأنه من الغيب وكذلك البشارة فهما من باب الوعد والوعيد ومصدرهما الوحي والمقصود أن الدعوة إلى الله لا بد فيها من التزام الوحي فيحذر الداعية أن يحمله اجتهاده على مخالفة الوحي وليأخذ من الأسباب والوسائل ما يندرج تحته دون ما يعارضه فليس في منهج الله كون الغاية تبرر الوسيلة وما يتوهم وجوده فيه فليس منه وإنما هو من باب تغليب المصالح أو تقديم الأهم.

الرابعة عشرة: منزلة أبي بكر الصديق ﷺ من التقوى حتى تقيأ ما أكله حين علم أنه بوسيلة محرمة وهو مثال يحتذى في الاستمساك بمنهج الله تعالى.

الخامسة عشرة: منزلة أبي الدرداء ﷺ من التقوى حيث يحاسب نفسه ويتخوف من المسألة يوم القيامة وذلك لأهمية العمل بالعلم فالعلم وحده لا يكفي.

السادسة عشرة: أن أولياء الله هم المتبعون لرسوله ﷺ طاعة له فيما أمر وتصديقًا له فيما أخبر واجتنابًا لما نهى عنه وزجر ولا يعبدوا الله إلَّا بما شرع.

السابعة عشرة: قول وفد عبدالقيس (فمرنا بأمر فصل... إلخ) يؤكد ما دلت عليه الآية من لزوم متابعة النبي ﷺ في الدعوة إلى الله.

تطبيقات

حين يستمسك الداعية إلى الله بما يدعو إليه يتحقق له مايلي:

١. .....

٢. .....

٣. .....

٤. .....

حين يخالف الداعية إلى الله ما يدعو إليه يخسر أموراً منها:

١. .....

٢. .....

٣. .....

٤. .....

اشرح قوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ﴾ الأنبياء:٤٥؟

.....

.....

.....

الفصل التاسع

أن سبيل الله بمعنى سبله وأن منها صنائع المعروف التي تضمنها صراطه

قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾[1] قال الشوكاني -رحمه الله-: «أي والحال أنه قد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه من هدايتنا إلى الصراط الموصل إلى رحمته، وهو ما شرعه لعباده وأوجب عليهم سلوكه»[2]، وقال أبو حيان: «وأي عذر لنا في أن لاّ نتوكل على الله ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا﴾ فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يوجب عليه سلوكه في الدين»[3].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي -رحمه الله-: «واعلم أن الرسل

---

(١) سورة إبراهيم: (١٢).

(٢) فتح القدير: (٣/ ٩٨).

(٣) البحر المحيط: (٥/ ٤١١).

عليهم الصلاة والسلام توكلهم في أعلى المطالب وأشرف المراتب وهو التوكل على الله في إقامة دينه ونصره وهداية عبيده وإزالة الضلال عنهم وهذا أكمل ما يكون من التوكل»[1].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[2] قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا»[3] قال القرطبي -رحمه الله-: «وهذا يتناول بعموم الطاعة جميع الأقوال»[4] وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله «إنما قصر بنا عن علم ما جهلنا تقصيرنا في العمل بما علمنا، ولو عملنا ببعض ما علمنا لأورثنا علمًا لا تقوم به أبداننا»[5].

وقال أبو سليمان الداراني: «ليس الجهاد في الآية قتال الكفار فقط بل هو نصر الدين والرد على المبطلين وقمع الظالمين وعُظْمُه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله»[6].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (١٣٠/ ٤).

(٢) سورة العنكبوت: (٦٩).

(٣) تفسير القرطبي: (٣٦٤/ ٣٦٥/ ١٣). والمراد بالهداية هنا هداية التوفيق.

(٤) نفس المصدر. والمعنى أن قوله [طاعتنا] نكرة مضافة إلى معرفة [نا] والنكرة إذا أضيفت إلى معرفة أفادت العموم.

(٥) تفسير القرطبي: (٣٦٤/ ٣٦٥/ ١٣). وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى﴾ سورة محمد (١٧) وسعة العلم لا يزيد صاحبه إلا سعادة.

(٦) نفس المصدر.

وقال: ليس ينبغي لمن ألهم شيئًا من الخير أن يعمل به حتى يسمعه في الأثر فإذا سمعه في الأثر عمل به وحمد الله حتى وافق ما في قلبه[1].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي: «دل هذا على أن أحرى الناس بموافقة الصواب أهل الجهاد وعلى أن من أحسن فيما أمر به أعانه الله ويسر له أسباب الهداية وعلى أن من جد واجتهد في طلب العلم الشرعي فإنه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل مطلوبه أمور إلهية خارجة عن مدرك اجتهاده وتيسر له أمر العلم فإنَّ طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله بل هو أحد نوعي الجهاد الذي لا يقوم به إلَّا خواص الخلق وهو الجهاد بالقول واللسان للكفار والمنافقين والجهاد على تعليم أمور الدين وعلى رد نزاع المخالفين للحق ولو كانوا من المسلمين»[2].

وقال الضحاك: «مثل السنة في الدنيا كمثل الجنة في العقبى من دخل الجنة في العقبى سلم كذلك من لزم السنة في الدنيا سلم»[3].

وقال تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ

---

(١) تفسير الكريم الرحمن: (١٠٨/ ٦).

(٢) تفسير ابن كثير: (٤٢٢/ ٣).

(٣) تفسير القرطبي: (٣٦٥/ ١٣).

﴿إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

قال ابن جرير الطبري -رحمه الله- سبل السلام طرق السلام،والسلام هو الله عز ذكره[2].

وقال ابن كثير رحمه الله «أي طرق النجاة والسلامة ومناهج الاستقامة»[3].

وقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[4] قال الشوكاني رحمه الله: «سبيل الله هو الإسلام»[5].

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان» متفق عليه. قال البخاري رحمه الله «وهو [أي الإيمان] قول وفعل ويزيد وينقص»[6].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله «فأما القول فالمراد به النطق بالشهادتين، وأما العمل فالمراد به ما هو أعم من القلب والجوارح ليدخل الاعتقاد والعبادات»[7].

(١) سورة المائدة: (١٥، ١٦).
(٢) تفسير الطبري: (١٤٥/ ١٠).
(٣) تفسير ابن كثير: (٣٤/ ٢).
(٤) سورة النحل: (١٢٥).
(٥) فتح القدير: (٢٠٣/ ٣).
(٦) صحيح البخاري كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان حديث (٩)، ووراه مسلم في الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها حديث (٣٥).
(٧) فتح الباري: (٤٦/ ١).

ونقل عن السلف قولهم: «هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «أجمع السلف أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ومعنى ذلك أنه قول القلب وعمل القلب ثم قول اللسان وعمل الجوارح فأما قول القلب فهو التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويدخل فيه الإيمان بكل ما جاء به الرسول ﷺ».

ونقل النووي عن ابن الصلاح أن الإيمان يتناول ما فسر به الإسلام في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسائر الطاعات لكونها ثمرات للتصديق الباطن الذي هو أصل الإيمان ومقويات ومتممات وحافظات له[2]. فعلم من كل ما تقدم أن سبيل الله بمعنى سبله وأن منها صنائع المعروف من الجهاد والهجرة وتعليم العلم الشرعي وسائر الطاعات التي تضمنها صراطه وهو الإسلام.

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: أن سبيل الله هو ما شرعه لعباده من الجهاد والهجرة وتعلم العلم الشرعي وتعليمه وسائر الطاعات التي تضمنها صراطه فهو بمعنى سبله.

(١) المصدر نفسه.
(٢) شرح النووي على مسلم: (١٤٨/ ١).

الثانية: أن ما هدى الله إليه أولياءه من الإيمان والعمل الصالح هو سبيلهم وهو السبيل المنجي ولذا أضافوه إليهم وهو -أيضًا- سبيل الله لأنه هو الذي شرعه ولذا أضافه إلى نفسه.

الثالثة: أن «السبل» المضافة إلى الله أو إلى أوليائه يراد بها عموم الطاعات من فعل المأمورات وترك المنهيات.

الرابعة: أن هذا القرآن يهدي من اتبعه طرق السلام في الدنيا وفي الآخرة، فيخرجهم من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان ويهديهم إلى صراط مستقيم لا اعوجاج فيه ولا خطأ.

الخامسة: أن سبيل الله هو الإسلام وهو الصراط المستقيم.

السادسة: الأمر باتخاذ الوسائل الممكنة من إيصال الهدى إلى قلوب العباد من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن وما يتفرع عن ذلك على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

السابعة: أن الإيمان ذو شعب أي خصال وقد جاء في رواية أخرى أن أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. رواه مسلم. والإيمان سبيل الله.

◆◆◆◆

تطبيقات

عدد مجالات الدعوة إلى سبيل الله من خلال قراءتك لنصوص هذا الفصل؟

.....

.....

.....

ما هي صنائع المعروف؟

.....

.....

.....

ما معنى سُبل السلام في قوله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ المائدة: ١٦ مع التمثيل والتوجيه لما تقول؟

.....

.....

.....

الفصل العاشر

في أن الحكمة التي أمر بها النبي ﷺ في دعوته هي ما أوحي إليه من الكتاب والسنة

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾[1] قال ابن كثير -رحمه الله-: «يقول تعالى هذا الذي أمرناك به من الأخلاق الجميلة ونهيناك عنه من الصفات الرذيلة مما أوحينا إليك يا محمد لتأمر به الناس»[2].

وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[3].

قال ابن جرير رحمه الله: «اتبع يا محمد ما أمرك به ربك في وحيه

---

(١) سورة الإسراء: (٢٣-٣٩).

(٢) تفسير ابن كثير: (٤٠/ ٣).

(٣) سورة الأنعام: (١٠٦).

الذي أوحاه إليك فاعمل به وانزجر عما زجرك عنه فيه ودع ما يدعوك إليه مشركوا قومك من عبادة الأوثان والأصنام فإنه لا إله إلا هو. يقول لا معبود يستحق عليك إخلاص العبادة له إلا الله الذي هو خالق الحب والنوى وفالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ يقول: ودع عنك جدالهم وخصومتهم»[1].

ومما أوحي إليه الدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن وتدخل الدعوة إلى الله في مطلق الأمر بالمتابعة. ومتابعة الوحي هي الحكمة وهي البصيرة كما سيأتي.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[2].

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: «هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ بأعظم الأوامر وأجلها وهو التبليغ لما أنزل الله إليه ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ من العقائد والأعمال والأقوال والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية فبلغ ﷺ أكمل تبليغ ودعا وأنذر وبشر ويسر وعلم الجهال الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين. وبلغ بقوله وفعله وكتبه ورسله فلم يبق خير إلا دلَّ أمته عليه ولا شر إلا حذرها عنه»[3].

(١) تفسير الطبري: (٣٢/ ١٢).
(٢) سورة المائدة: (٦٧).
(٣) تفسير ابن سعدي: (٣٢/ ٢).

ومتابعة الوحي في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله وغير ذلك من سائر الطاعات هي من تبليغ الوحي وهذا كله يفيد أن الحكمة المأمور بها في الدعوة هي متابعة الوحي الذي أنزل عليه -عليه الصلاة والسلام-.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «والرسول ﷺ قام بهذه الدعوة فإنه أمر الخلق بكل ما أمر الله به ونهاهم عن كل ما نهى الله عنه. أمر بكل معروف ونهى عن كل منكر ودعوته إلى الله هي بإذنه لم يشرع دينا لم يأذن به الله»[1].

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (مثل ما بعثني الله به من الهدى[2] والعلم[3] كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا فكان منها نقية[4] قبلت الماء فأنبتت الكلأ[5] والعشب[6] الكثير وكان منها أجادب[7] أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان[8] لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأ فذلك

(١) مجموع الفتاوى: (١٦١/ ١٥).
(٢) الهدى: الدلالة الموصلة إلى المطلوب.
(٣) العلم: المراد به معرفة الأدلة الشرعية.
(٤) نقية: في رواية طائفة طيبة.
(٥) الكلأ: يطلق على النبت الرطب واليابس.
(٦) العشب: النبت الرطب.
(٧) أجادب: الأرض الصلبة التي لا تنبت.
(٨) قيعان: الأرض المستوية التي لا تنبت.

مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» .[1]

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: بيان المراد بالحكمة التي أمر بها النبي ﷺ في دعوته وأنها معرفة الحق وقوله والعمل به مما أوحاه الله إليه.

الثانية: أن هذا الدين يأمر بالأخلاق الجميلة وينهى عن الأخلاق الذميمة.

الثالثة: أن اتباع الوحي هو عين الحكمة التي أمر بها النبي ﷺ في دعوته لأمره إياه باتباعه ثم أمره باستعمال الحكمة فعلم أنهما بمعنى واحد لا سيما وأن الله اطلقها على أوامره ونواهيه كما سبق.

الرابعة: الأمر بالإعراض عن المشركين إذا كان في الاشتغال بهم مجانبة للشرع ففيها معنى قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾.

الخامسة: أن الداعي إلى الله إنما هو مبلغ عباد الله ما أوحاه الله إلى رسوله ﷺ فلزم العلم به وهو معنى قوله تعالى: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾.

السادسة: عظم إثم من كتم العلم الشرعي ففيها معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾.

(١) متفق عليه (رواه البخاري في كتاب العلم ، باب فضل من علم وعلم ، حديث (٧٩) ورواه مسلم في الفضائل ، باب بيان فضل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم حديث (٢٢٨٢).

السابعة: الحرص على تعليم الناس هذا الدين ما استطاع وأن لا يترك ذلك مخافة الناس.

الثامنة: انقسام الناس أمام الوحي إلى ثلاثة أقسام وأن خيرها من قبل هدى الله فعلم وعمل وعلم، وأن شرها من لم يقبل هدى الله.

التاسعة: أن في علوم الدين حياة القلوب كما أن بالغيث حياة الأرض.

العاشرة: شدة حاجة الناس إلى دين الإسلام ولهذا شبهه بالغيث الكثير.

تطبيقات

ما المراد بالحكمة هنا في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِ﴾ الإسراء: ٣٩؟

.....

.....

كيف تجمع بين هذه الآية والتي في سورة الأحزاب ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِ﴾ الأحزاب: ٣٤؟

.....

.....

ما الحكمة في الأمر بالإعراض عن المشركين ومتى تكون؟

.....

.....

خير الناس من قبل هدى الله فعلم وعمل وعلم. ما دليل ذلك؟

.....

.....

الفصل الحادي عشر

في أن الحكمة التي أمر بها النبي ﷺ في دعوته هي البصيرة التي وصفت بها دعوته

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[1] وقد أمره الله أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة...إلخ، فلن يكون سبيله فيها غير ما أمره الله به.

قال ابن كثير رحمه الله: «يقول تعالى لرسوله ﷺ إلى الثقلين الإنس والجن آمرًا له أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي»[2].

(١) سورة يوسف: (١٠٨).

(٢) تفسير ابن كثير: (٤٩٥، ٤٩٦/ ٢).

وإنما يحصل اليقين بالبرهان وهو الحجة الواضحة وذلك لا يكون إلَّا بما أوحاه الله إلى رسوله ﷺ.

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾[1].

قال أبو جعفر الطبري -رحمه الله-: «أي ما تبصرون به الهدى من الضلال والإيمان من الكفر. وهي جمع بصيرة ومنه قول الشاعر:

حملوا بصائرهم على أكتافهم ... وبصيرتي يعدو بها عتد

يعني بالبصيرة الحجة البينة الظاهرة»[2].

وقال ابن زيد: «البصائر الهدى بصائر في قلوبهم لدينهم وليست ببصائر الرؤوس... وقال إنما الدين بصره وسمعه في هذا القلب»[3]

وقال ابن كثير -رحمه الله-: «البصائر هي البينات والحجج التي اشتمل عليها القرآن وما جاء به الرسول ﷺ»[4]، فحصل بهذا أن الحكمة التي أمر بها النبي ﷺ في دعوته هي البصيرة التي وصفت بها دعوته في الآية الأولى من هذا الباب لأن الحكمة كما تقدم هي ما أوحاه الله إليه والبصيرة كذلك كما دلت عليه آية الأنعام وسواء قلنا إن البصيرة والحكمة صفة للداعي أو للحجة التي يصير بها الداعي كذلك.

(١) سورة الأنعام: (١٠٤).
(٢) تفسير الطبري: (٢٤/ ١٢).
(٣) نفس المرجع.
(٤) تفسير ابن كثير: (١٦٢/ ٢).

وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾[4]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾[5].

عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلَّا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلَّا بحق الإسلام وحسابهم على الله»[6]. ولا آمر للنبي ﷺ إلَّا الله سبحانه وتعالى.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق[7] حتى يكون صديقًا. وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن

(١) سورة النساء: (٨٠).
(٢) سورة الأنعام: (١٦١).
(٣) سورة النجم: (٣، ٤).
(٤) سورة الأنعام: (٥٧).
(٥) سورة الأنعام: (٥٠).
(٦) متفق عليه وتقدم تخريجه في (الفصل الثاني).
(٧) وفي رواية (ويتحرى الصدق).

الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا»[1].

قال النووي -رحمه الله-: «قال العلماء معناه أن الصدق يهدي إلى العمل الصالح الخالص من كل مذموم والبر اسم جامع للخير كله، وقيل البر الجنة ويجوز أن يتناول العمل الصالح والجنة»[2] قلت ولا منافاة بين القولين فالجنة طريقها العمل الصالح والعمل الصالح طريق الجنة قال: «وأما الكذب فيوصل إلى الفجور وهو الميل عن الاستقامة وقيل الانبعاث في المعاصي»[3] وقال أيضًا: «قال العلماء: هذا فيه حث على تحري الصدق وهو قصده والاعتناء به، وعلى التحذير من الكذب والتساهل فيه فإنه إذا تساهل فيه كثر منه فعرف به وكتبه الله لمبالغته -أي في الصدق أو الكذب- صديقًا إن اعتاده أو كذابًا إن اعتاده»[4].

وفي الفتح «أصل الفجر الشق فالفجور شق ستر الديانة ويطلق على الميل إلى الفساد وعلى الانبعاث في المعاصي وهو اسم جامع للشر»[5].

والمقصود من إيراد هذا الحديث هنا كون هذا الإرشاد من البصيرة لأن الاهتداء لأسباب الخير لا يكون إلَّا بعلم وهو هنا علم الوحي وهو الحكمة وقد تقدم ما حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية عن بعض المشايخ

(١) متفق عليه (البخاري في كتاب الأدب ، باب قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) ومايُنهى عن الكذب حديث (٥٧٤٣) ، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب قبح الكذب وحسن الصدق حديث (٢٦٠٧).
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم: (١٦٠/ ١٦).
(٣) نفس المصدر.
(٤) نفس المصدر.
(٥) فتح الباري: (٥٠٨/ ١٠).

من أنه كان إذا خاف على منصوحه النفرة يأمره بالصدق.

وعن أم كلثوم بنت عتبة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فَيُنْمِي خيرًا أو يقول خيرًا) متفق عليه. قال النووي -رحمه الله-: «معناه ليس الكذاب المذموم الذي يصلح بين الناس بل هو محسن»[1].

ومعنى (فينمي خيرًا) يبلِّغ تقول نَمَيْتُ الحديث أَنْمِيه إذا بلغته على وجه الإصلاح وطلب الخير فإذا بلغته على وجه الإفساد والنميمة قلت نميته بتشديد الميم»[2].

وقال الحافظ بن حجر رحمه الله: «قال العلماء المراد هنا أنه يخبر بما علمه من الخير ويسكت عما علمه من الشر ولا يكون ذلك كذبًا لأن الكذب الإخبار بالشيء على خلاف ما هو به وهذا ساكت ولا ينسب لساكت قول»[3].

والمعنى أن يذكر لصديقه من الخلال الجميلة التي يعلمها فيه مما هو بها مقر ويعمل على تقريب النفوس بناء على ذلك ولا يذكر من الخصال الذميمة شيئًا.

وقال الطبري: «ذهب طائفة إلى جواز الكذب لقصد الإصلاح... وقالوا: الكذب المذموم إنما هو فيما فيه مضرة أو ما ليس فيه مصلحة،

(١) شرح النووي على صحيح مسلم: (١٥٧/ ١٦).
(٢) فتح الباري: (٢٩٩/ ٥).
(٣) فتح الباري: (٢٩٩/ ٥).

وقال آخرون: لا يجوز الكذب في شيء مطلقًا، وحملوا الكذب المراد هنا على التورية والتعريض... واتفقوا على أن المراد بالكذب في حق المرأة والرجل إنما هو فيما لا يسقط حقًّا عليه أو عليها أو أخذ ما ليس له أولها، وكذا في الحرب في غير التأمين واتفقوا على جواز الكذب عند الاضطرار»[1].

والمقصود من إيراد هذا الحديث ما تقدم في الذي قبله وهو بيان أوجه الحكمة والبصيرة في دعوته عليه الصلاة والسلام.

وقد تطلق على السنة كما في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِ﴾[2] فآيات الله القرآن والحكمة هي السنة المطهرة وقد تضمن هذان الحديثان من التوجيهات السديدة والأوامر الرشيدة ما يشفي العليل ويروي الغليل ويجلب الخير ويدفع الشر وما ذلك إلا لكونهما من الحكمة وهي البصيرة التي وصفت بها دعوة النبي ﷺ.

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: أن البصيرة التي وصفت بها دعوة النبي ﷺ هي الحكمة التي أمر بها النبي ﷺ في الدعوة إلى الله. لقوله تعالى: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ وقد قال الله له: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ...﴾ الآية فعلم من ذلك أن البصيرة هي الحكمة التي أمر بها.

(١) نفس المصدر.

(٢) سورة الأحزاب: (٣٤).

الثانية: بيان صفة من يدعو إلى الله بحق وأنه الذي يجمع ثلاث صفات، السلامة من الشرك، والبراءة من أهله، والبصيرة في دعوته.

الثالثة: قيام الحجة على الناس بما أنزل الله من البصائر وهي الحجج الواضحات والدلائل البينات فمن أخذ بها فقد أبصر فتبين له الهدى من الضلال والحق من الباطل وفائدة ذلك عائدة إليه لأن بها نجاته ومن أعرض عنها فقد عمي فلا يبصر هدى ولا يعرف حقًا فتلتبس عليه الأمور وإنما وبال ذلك عليه وهو الجاني على نفسه.

الرابعة: وجوب طاعة الرسول ﷺ وأنها طاعة لله لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلَّا وحي يوحى.

الخامسة: أن الذي هدى الرسول عليه الصلاة والسلام إلى البصيرة في دعوته هو الله بما أوحاه إليه.

السادسة: أن الرسول ﷺ على بينة من الله في دعوته فهو متبع في جميع شئونه لما يوحى إليه من ربه سبحانه.

السابعة: بيان أن الله أمر رسوله ﷺ بمقاتلة الناس حتى يدخلوا في هذا الدين بأن يشهدوا أن لا إله إلَّا الله وأن محمدًا رسول الله... إلخ. ففيه تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾[1].

الثامنة: أن الصدق من أسباب البر الذي هو جماع الخير وأن الكذب من أسباب الفجور الذي هو جماع الشر.

(١) سورة الأنفال: (٣٩).

التاسعة: أن دعوة النبي ﷺ قائمة على الصدق والبر والبعد عن الكذب والفجور.

العاشرة: الرخصة في الكذب إذا أنْمى خيرًا أو قال خيرًا..بأن كان على وجه الإصلاح وطلب الخير من غير أن يترتب عليه فقدان حق أو إثبات باطل.

الحادية عشرة: ذكر الخلاف في المراد بالكذب المأذون فيه وأن من العلماء من حمله على المعاريض واستعمال التورية، ومنهم من حمله على السكوت عن ذكر ما يعلمه من الشر والإخبار بما يعلمه من الخير وجواز ذلك في حال الاضطرار اتفاقًا.

الثانية عشرة: أن من البصيرة في الدعوة إلى الله توضيح ما يلتبس على الناس مما يظن دخوله في المحظورات وهو ليس منها.

◆◆◆◆

تطبيقات

قال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ **يوسف: ١٠٨ في هذه الآية الأمر للنبي ﷺ بأن يخبر عن طريقته في الدعوة وطريقة أتباعه، وأنهم يدعون إلى الله على بصيرة، وقد أمره الله بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، كما قال تعالى:** ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ **النحل: ١٢٥، فهل بين الآيتين تعارض بين وجه الجمع أو التعارض؟**

.....

.....

ما معنى بصائر في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ ﴾ **الأنعام: ١٠٤ وما هي؟**

.....

.....

متى يجوز الكذب ولماذا؟

.....

.....

الفصل الثاني عشر

أن من البصيرة تقديم النقل على العقل
وضبط النفس عند الغضب وتقديم الأهم

قال تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]

ومن الاستمساك به تقديمه على العقل المجرد فإن من قدم العقل على النقل (وهو النص الشرعي) لم يستمسك بالذي أوحي إليه ﷺ.

قال ابن كثير -رحمه الله-: «أي خذ بالقرآن المنزل على قلبك فإنه هو الحق وما يهدي إليه هو الحق المفضي إلى صراط الله المستقيم الموصل إلى جنات النعيم والخير الدائم المقيم»[2] وقال ابن سعدي رحمه الله «وهذا مما يوجب عليك زيادة التمسك به والاهتداء إذا علمت أنه حق وعدل وصدق تكون بانيًا على أصل أصيل إذا بنى غيرك على الشكوك

(١) سورة الزخرف: (٤٣).

(٢) تفسير ابن كثير: (١٢٨/ ٤).

والأوهام والظلم والجور»[1].

وقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلٗا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾[3] قال الشيخ ابن سعدي -رحمه الله-: «أي اصبر على دعوتك لقومك صبرًا جميلا لا تضجر فيه ولا ملل»[4]وفسر ابن كثير -رحمه الله- الهجر الجميل بأنه الذي لا عتاب معه[5] لأن التضجر والملل يقطعان الطريق على الداعية ويضعفان الهمة ويطمعان العدو ويحجبان الرؤية عن مواطن الصواب وهو مع ذلك كله خلاف النقل الذي جاءنا من ربنا من الكتاب والسنة.

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ٦٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ٦١ فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ

(١) تسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (٦٥٠/ ٦).فيجب أن تعلم أنه حق وعدل وصدق.
(٢) سورة المعارج: (٥).
(٣) سورة المزمل: (١٠).
(٤) تسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (٤٧١/ ٨).
(٥) تفسير ابن كثير: (٤٣٧/ ٤).

جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ٦٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: «ومن هذه الآيات أنواع من العبر الدالة على ضلال من تحاكم إلى غير الكتاب والسنة، وعلى نفاقه وإن زعم أنه يريد التوفيق بين الأدلة الشرعية وبين ما يسميه هو عقليات من الأمور المأخوذة عن بعض الطواغيت من المشركين وأهل الكتاب وغير ذلك من أنواع الاعتبار»[2] فدل هذا على أن تقديم العقل المجرد على النص الشرعي ليس من سبيل المؤمنين وبالتالي ليس من البصيرة لأن الله وصف أهله في هذه الآية بالنفاق.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[4]. فدل هذا على أن توحيد الله تعالى هو أول ما دعت إليه الرسل وهو أهم فرائض الدين ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

(١) سورة النساء: (٦٠-٦٣).
(٢) درء تعارض العقل والنقل: (٥٨/ ١).
(٣) سورة الأنبياء: (٢٥).فأمر بإفراده بالعبادة ولا تكون صحيحة إلا إذا كانت مبنية على الشرع.
(٤) سورة المؤمنون: (٢٣).

﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[1]. فكان لذلك أولى بالتقديم وأجدر بالاهتمام.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ بعث معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن فقال: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلَّا الله وأني رسول الله» وفي رواية «إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة تؤخذ من أموالهم وترد على فقرائهم فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس» متفق عليه واللفظ للبخاري.[2]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وجميع الرسل افتتحوا دعوتهم بهذا الأصل كما قال نوح عليه السلام: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ وكذلك قال هود وصالح وشعيب عليهم السلام وغيرهم كلٌّ يقول: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ لاسيما أفضلا الرسل اللذين أتخذ الله كلاهما خليلًا إبراهيم ومحمدًا عليهما الصلاة والسلام»[3].

وعن أبي وائل قال: كنا بصفين فقام سهل ابن حنيف فقال: أيها

(١) سورة النساء: (٤٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب لاتؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة حديث (١٣٨٩)، ورواه مسلم في الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام حديث (١٩).

* فعلى من يدعو إلى الله تعالى أن يكون جل اهتمامه في بيان حقيقة التوحيد ونواقضه ومايزيد فيه وما ينقصه حتى تقوم دعوته على مثل ماقامت عليه دعوة الرسل عليهم السلام.

(٣) مجموع الفتاوى: (١٠/ ٥١).

الناس: أتهموا أنفسكم فإذا كنا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ولو نرى قتالًا لقاتلنا فجاء عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال: بلى فقال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى. قال فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ أنرجع ولمَّا يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «ابنَ الخطاب، إني رسول الله ولن يضيعني الله أبدًا» فانطلق عمر إلى أبي بكر فقال له مثل ما قال للنبي ﷺ فقال: إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدًا فنزلت سورة الفتح فقرأها رسول الله ﷺ على عمر إلى آخرها فقال عمر يا رسول الله: أو فتح هو؟ قال: نعم» متفق عليه.[1]

وفي رواية للبخاري: «قال سهل بن حنيف: اتهموا رأيكم رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته» وفي رواية له: «اتهموا رأيكم في دينكم».

قال الحافظ في الفتح: «لا تعملوا في أمر الدين بالرأي المجرد الذي لا يستند إلى أصل من الدين وهو كقول عليٍّ فيما خرجه أبو داود بسند حسن لو كان الدين بالرأي لكان مسح أسفل الخف أولى من أعلاه»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وأصل ضلال من ضل هو بتقديم قياسه على النص المنزل من عند الله واختياره الهوى على

(١) رواه البخاري في كتاب الجزية، باب إثم من عاهد ثم غدر حديث (٣٠١١)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية حديث (١٧٨٥)

(٢) فتح الباري: (١٣/ ٢٨٩، ٢٨٨).

اتباع أمر الله»[1].

وقال -رحمه الله-: «إذا تعارض الشرع والعقل وجب تقديم الشرع»[2] وقال أيضًا: «أما الشرع فهو في نفسه قول الصادق وهذه صفة لازمة له لا تختلف باختلاف أحوال الناس والعلم بذلك ممكن ورد الناس إليه ممكن ولذا جاء التنزيل برد الناس إلى الكتاب والسنة»[3].

وعن المقداد بن الأسود ﷺ أنه قال لرسول الله ﷺ أرأيت إن لقيت رجلًا من الكفار فاقتتلنا فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها ثم لاذ مني بشجرة فقال: أسلمت لله أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال رسول الله ﷺ: (لا تقتله) فقال: يا رسول الله إنه قطع إحدى يدي ثم قال ذلك بعدما قطعها فقال رسول الله ﷺ: (لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته) ومعناه أنه يصير معصوم الدم محرما قتله بعد قول لا إله إلا الله كما كنت أنت قبل أن تقتله، وإنك بعد قتله غير معصوم الدم ولا محرم القتل كما كان هو قبل قول لا إله إلا الله لو لا عذرك بالتأويل المسقط للقصاص عنك[4].

وفيه أهمية ضبط النفس عند الغضب وتقديم الشرع على الرأي.

وعن أنس بن مالك ﷺ أن رجلا سأل النبي ﷺ متى الساعة

(١) ()مجموع الفتاوى: (١٠/ ٥١).
(٢) درء تعارض العقل والنقل: (١/ ١٣٨).
(٣) المصدر نفسه: (١/ ١٤٦).
(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم: (٢/ ١٠٦).

يا رسول الله؟ قال: (ما أعددت لها)؟ قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله: قال: (أنت مع من أحببت) متفق عليه[1]. قال الكرماني -رحمه الله-: «سلك مع السائل أسلوب الحكيم وهو تلقي السائل بغير ما يطلب مما يهمه أو هو أهم»[2]. ففيه أن تقديم الأهم من الدين لصرف النبي ﷺ السائل إلى ذلك وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) متفق عليه.[3]

الصرعة: الذي يصرع الناس كثيرًا لقوته فالهاء فيه للمبالغة[4] قال ابن حبان: «أراد لا تعمل بعد الغضب شيئًا مما نهيت عنه»[5].

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: الأمر بالاستمساك بالوحي وأن مبني هذا الدين على النقل لا العقل المجرد.

الثانية: الأمر بالصبر على الأذى والهجر الجميل وبيان معناهما.

الثالثة: أن من البصيرة في الدعوة إلى الله تقديم الأهم وأن أهم فرائض الدين التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة وأن جميع الرسل دعوا أممهم إلى ذلك وقدموه على ما سواه وأن ذلك من سنة المرسلين.

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب ، باب علامة الحب في الله عز وجل حديث (٥٨١٩) ورواه مسلم في البر والصلة والآداب ، باب المرء مع من أحب حديث(٢٦٣٩).
(٢) فتح الباري: (١٠/ ٥٦٠).
(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب حديث (٥٧٦٣) ، ومسلم في البر والصلة والآداب ، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب حديث (٢٦٠٩).
(٤) فتح الباري: (١٠/ ٥٢٠، ٥١٩).
(٥) نفس المصدر. وبذلك يعرف ضبط النفس

الرابعة: إقتداء النبي ﷺ بمن قبله من الرسل في الاهتمام بالتوحيد وتقديم الدعوة إليه على جميع فرائض الدين «فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله»، «فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلَّا الله وأني رسول الله».

الخامسة: العبرة العظيمة الواردة في حديث المقداد وهي تؤكد المسألة الأولى.

السادسة: فضل كف النفس عند الغضب وأن الشديد في الحقيقة هو الذي يملك نفسه عند الغضب فلا يعمل شيئًا مما نهي عنه.

السابعة: فضل حب الله ورسوله ﷺ ويتبع ذلك حب الصالحين.

الثامنة: أن الإسلام يجُبُّ ما قبله وأن من دخل في دين الله عصم دمه وماله إلَّا بحقه.

التاسعة: أن الأحكام في هذه الشريعة مبناها على الظواهر وأن توكل السرائر إلى الله.

العاشرة: عظم كلمة التوحيد وأنها لا ترد بمجرد القرائن لدخول قائلها في الإسلام حكمًا بيقين وأن اليقين لا يزول بالشك.

الحادية عشرة: مراعاة الداعية لأحوال الناس وتنبيههم إلى ما هو أجدى وأنفع.

الثانية عشرة: حرص الداعية على نفسه وعلى من معه بفعل الصالحات وتأمل قوله ﷺ للسائل عن الساعة (ما أعددت لها).

تطبيقات

ما المقصود بتقديم النقل على العقل وكيف يكون؟

.....

.....

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾ **النساء: ٦٠ – ٦٣، وضح الشاهد ووجه الاستشهاد من هذه الآيات على تقديم النقل على العقل؟**

.....

.....

ما معنى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «اتهموا رأيكم في دينكم»، وما سبب قوله هذا؟

.....

.....

الفصل الثالث عشر

أن من البصيرة في الدعوة إلى الله تعالى الاحتجاج بتوحيد الربوبية على توحيد العبادة، وأن ذلك من سنن المرسلين عليهم الصلاة والسلام

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾[1].

قال ابن كثير -رحمه الله-: «يقرر تعالى أنه لا إله إلَّا هو، لأنهم معترفون بأنه هو الذي خلق السموات والأرض وهو ربها ومدبرها

---

(١) سورة الرعد: (١٦). المقصود الاحتجاج بالقدر الذي يؤمنون به من الحق على إثبات ماينفونه منه، فالمشركون يثبتون توحيد الربوبية وينفون توحيد الإلهية وهما متلازمان.

وهم مع هذا قد اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم وأولئك الآلهة لا تملك لنفسها ولا لعابديها بطريق الأولى نفعًا ولا ضرًا أي لا تحصل لهم منفعة ولا تدفع عنهم مضرةً فهل يستوي من عبد هذه الآلهة مع الله ومن عبد الله وحده لا شريك له فهو على نور من ربه ولهذا قال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ أي أجعل هؤلاء المشركون مع الله آلهة تناظر الرب وتماثله في الخلق فخلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم فلا يدرون أنها مخلوقة من مخلوقِ غيره أي ليس الأمر كذلك فإنه لا يشابهه شيء ولا يماثله ولا نِدَّله ولا عِدْل له ولا وزير له ولا ولد ولا صاحبة تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا وإنما عبد هؤلاء المشركون معه آلهة هم معترفون أنها مخلوقة له عبيد له كما كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلَّا شريكًا هو لك تملكه وما ملك»[1].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ

(١) تفسير ابن كثير: (٢/ ٥٠٧).وقوله من مخلوق غيره أي من خلق غيره
(٢) سورة النحل: (١٧).
(٣) سورة هود: (٦٢).

وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[1].

قال ابن كثير -رحمه الله-: «يخبر تعالى عما دار بين الكفار و بين رسلهم من المجادلة وذلك أن أممهم لما واجهوهم بالشك فيما جاءوهم به من عبادة الله وحده لا شريك له قالت الرسل: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ وهذا يحتمل شيئين (أحدهما) أفي وجوده شك فإن الفطر شاهدة بوجوده ومجبولةٌ على الإقرار به فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطرار فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده ولهذا قالت لهم الرسل ترشدهم إلى طريق معرفته بأنه ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الذي خلقها وابتدعها على غير مثال سبق فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهرة عليها فلا بد لها من صانع وهو الله لا إله إلَّا هو خالق كل شيء وإلهه ومليكه. والمعنى الثاني في قوله: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ أي في ألوهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك وهو الخالق لجميع الموجودات ولا يستحق العبادة إلَّا هو وحده لا شريك له فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع ولكن تعبد معه غيره

(١) سورة إبراهيم: (٩،١٠).

من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى»[1].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[2].

عن أبي جري جابر بن سليم قال: رأيت رجلًا يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئًا إلَّا صدروا عنه. قلت من هذا؟ قالوا هذا رسول الله ﷺ قلت عليك السلام يا رسول الله. مرتين. قال: لا تقل عليك السلام فإن عليك السلام تحية الميت قل السلام عليك، قال: قلت أنت رسول الله قال: أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك، وإن أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك وإذا كنت بأرض قفر أو فلاة فضلت راحلتك فدعوته ردها عليك قال قلت: أعهد إلي قال: لا تسبن أحدًا. قال فما سببت بعده حرًا ولا عبدًا ولا بعيرًا ولا شاةً قال: ولا تحقرن شيئًا من المعروف، وأن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك إن ذلك من المعروف وارفع إزارك إلى نصف الساق فإن أبيت فإلى الكعبين

(١) تفسير ابن كثير: (٢/ ٥٢٥).

(٢) سورة النحل: (٦٠-٦٤).

وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة وإن الله لا يحب المخيلة وإن امرؤ شتمك وعيرك بما فيك فلا تعيره بما تعلم فيه فإنما وبال ذلك عليه» رواه أبو داود بسند صحيح.[1] وقوله «لا تقل عليك السلام ... إلخ» قال الخطابي: «هذا يوهم أن السنة في تحية الميت أن يقال له عليك السلام كما يفعله كثير من العامة وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه دخل المقبرة فقال: السلام عليكم أهل دار مؤمنين، فقدم الدعاء على اسم المدعو له كهو في تحيته الأحياء وإنما كان ذلك القول منه إشارة إلى ما جرت به العادة منهم في تحية الأموات إذ كانوا يقدمون اسم الميت على الدعاء وهو مذكور في أشعارهم، كقول الشاعر:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته إن شاء أن يترحما

وكقول الشاعر:

عليك سلام من أمير وباركت يد الله في ذاك الأديم الممزق

والسنة لا تختلف في تحية الأحياء والأموات بدليل حديث أبي هريرة الذي ذكرناه والله اعلم»[2].

وقال ابن القيم -رحمه الله-: «وفيه نكتة حسنة وهي أن الدعاء بالسلام دعاء بخير والأحسن في دعاء الخير أن يقدم الدعاء على المدعو له كقوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾، وقوله: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾، وقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾،

(١) صحيح سنن أبي داود للألباني كتاب اللباس ، باب ماجاء في اسبال الإزار حديث (٣٤٤٢) ص ٧٦٩/ ٢.

(٢) عون المعبود: (١١/ ١٣٨).

وأما الدعاء بالشر فيقدم المدعو عليه على الدعاء غالبًا كقوله لإبليس: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾، وقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ﴾ وقوله: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾، وقوله: ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[1].

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: أن الإقرار بتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الإلهية وأن الاحتجاج بإقرار المشركين بذلك على توحيد الله في عبادته من البصيرة في الدعوة إلى الله تعالى.

الثانية: أنه لا حجة مع المشركين فيما جعلوا مع الله من الشركاء لأنه الخالق وحده فهو المستحق للعبادة لتفرده بالخلق.

الثالثة: احتجاج نبي الله صالح عليه السلام على صحة دعواه بما يُقِرُّ بِهِ قومه من توحيد الربوبية ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾.

الرابعة: أن هذه طريقة رسل الله جميعًا من نوح إلى نبينا محمد عليهم الصلاة والسلام حيث قالوا جميعًا لأممهم حين قابلوهم بالشك ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

الخامسة: بيان عظم قبح الشرك بالله تعالى وأنه محض افتراء على الله ففيه معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾، وأن من البصيرة في الدعوة

(١) عون المعبود مع شرح ابن القيم: (١٣٨/ ١١).

إلى الله التفصيل في ذكر الحجج وبيان وجه الاحتجاج بكل دليل على حده ليكون أوقع في النفوس وأدعى للاعتراف بالحق.

السادسة: بيان عظم شخصية النبي ﷺ كما في حديث أبي جري رضي الله عنه وبيان معرفته بأحوال المدعوين وعاداتهم حيث أنكر على جري أسلوب سلامه لأنهم معتادون على ذلك في تحيتهم للموتى.

السابعة: أن السنة في السلام تقديم الدعاء على المدعو له ولو كان ميتًا وان ذلك هو الغالب في دعاء الخير وأن ما جاء في هذا الحديث إنما هو من باب التنبيه على العادات حيث وضعت في غير محلها مما يوهم خلاف المقصود. إذ لم يكن مقصود جري الاستخفاف بالنبي ﷺ.

الثامنة: احتجاج النبي ﷺ بتوحيد الربوبية وأن من البصيرة في الدعوة إلى الله ذكر الحجج مع الدعوى ولو لم تطلب.

التاسعة: بيان محاسن هذا الشرع وكيف أن هذا الرجل بمجرد دخوله في الإسلام أخذ يتطلع إلى مطلب الشرع وأن الرسول عليه الصلاة والسلام أرشده إلى محاسن الآداب ومعالي الأمور.

العاشرة: إن من الآداب الحسنة ترك مجازاة السفيه وأن وبال ما يقوله من الشتائم والعير عليه هو.

تطبيقات

ما وجه كون الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية من البصيرة في الدعوة؟

.....

.....

اذكر دليلًا على الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية؟

.....

.....

اذكر مثالين من عندك على ذلك؟

.....

.....

ترك مجازاة السفيه من الآداب الحسنة في الدعوة إلى الله، لماذا؟

.....

.....

الفصل الرابع عشر

أن من البصيرة في الدعوة إلى الله الموعظة الحسنة في الوقت المناسب

قال الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾[1]

قال ابن جرير -رحمه الله-: «يقول إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقه، وهو الإسلام، ﴿بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ يقول: بوحي الله الذي يوحيه إليك وكتابه الذي نزله عليك ﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ يقول بالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه وذكرهم بها في تنـزيله»[2].

وقال القرطبي: «هذه الآية نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة

(١) سورة النحل: (١٢٥).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري: (٦٦٣/ ٧) ط ١ سنة ١٤١٢هـ ن/ دار الكتب العلمية - بيروت توزيع مكتبة الباز.

وتعنيف وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة فهي محكمة في جهة العصاة من الموحدين ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين. وقد قيل أن من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ورجي إيمانه بها دون قتال فهي فيه محكمة»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله «فالقلوب التي لها فهم وقصد تدعى بالحكمة فيبين لها الحق علمًا وعملًا فتقبله وتعمل به وآخرون يعترفون بالحق لكن لهم أهواء تصدهم عن اتباعه فهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من الباطل»[2].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[3].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «نجا الناهون وهلك الفاعلون ولا أدري ما صُنِع بالساكتين»[4] وقال: «أسمعُ اللهَ يقول أنجينا الذين

(١) تفسير القرطبي: (٢٠٠/ ١٠).الصحيح أنها ليست منسوخة ولا تعارض بينها وبين آيات القتال.
(٢) مجموع الفتاوي: (١٦٤/ ١٩).
(٣) سورة الأعراف: (١٦٤، ١٦٥).
(٤) تفسير ابن جرير: (١٩٤/ ١٩٥/ ١٣).

ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس» فليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[2].

قال ابن كثير رحمه الله «أي تقوموا قيامًا خالصًا لله عز وجل من غير هوى ولا عصبية فيسأل بعضكم بعضًا هل بمحمد من جنون فينصح بعضكم بعضًا ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ أي ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد ﷺ ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه ويتفكر في ذلك»[3].

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال «صعد النبي ﷺ الصفا ذات يوم فقال: (يا صباحاه) فاجتمعت إليه قريش فقالوا: مالك؟ فقال: (أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسيكم أما كنتم تصدقوني) قالوا: بلى. قال ﷺ: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) فقال أبو لهب تبًا لك ألهذا جمعتنا فأنزل الله عز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ رواه البخاري.[4]

(١) نفس المصدر.
(٢) سورة سبأ: (٤٦).
(٣) تفسير ابن كثير: (٥٤٣/ ٣).
(٤) رواه البخاري في كتاب التفسير ، باب (وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك) حديث (٤٤٩٢) .

وعن عبدالله بن بريدة عن أبيه ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يومًا فنادى ثلاث مرات فقال: (أيها الناس تدرون ما مثلي ومثلكم؟) قالوا: الله تعالى ورسوله أعلم قال ﷺ: (إنما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدوًا يأتيهم فبعثوا رجلا يتراءى لهم، فبينما هو كذلك أبصر العدو فأقبل لينذرهم وخشي أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه فأهوى بثوبه أيها الناس أتيتم، أيها الناس أتيتم ثلاث مرات) رواه أحمد.[1]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي، يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) فقال أبو لهب تبًا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ رواه البخاري.[2]

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ قال: يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا يا بني عبدمناف لا أغني عنكم من الله شيئًا يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئًا ويا صفية

(١) مسند الأنصار حديث بريده الأسلمي رقم (٢٣٠٥٤) قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح ٤١٥/ ٣ من م/ ٥ .

(٢) رواه البخاري في التفسير ، باب (وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك حديث (٤٤٩٢).

عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئًا ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئًا) رواه البخاري.[1]

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: أن الموعظة الحسنة من البصيرة في الدعوة إلى الله.

الثانية: بيان المراد بالموعظة الحسنة ومتى يحتاج المدعو إليها وعظم فائدتها.

الثالثة: أن الموعظة الحسنة من أسباب النجاة من عذاب الله تعالى.

الرابعة: خطر السكوت على الباطل وتأملْ قول ابن عباس «لا أدري ما صُنِعَ بالساكتين».

الخامسة: أن الحق لا يحتاج في التعرف عليه سوى التجرد من الهوى والعصبية.

السادسة: حرص النبي ﷺ على إيصال الحق إلى الناس.

السابعة: من الموعظة الحسنة ضرب الأمثال تقريبًا للفائدة إلى الأذهان.

الثامنة: بيان الفرق بين الإيمان والتصديق المجرد فقد أجمعت قريش على صدقه ﷺ ومع هذا كفروا به قال الله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

التاسعة: عظم جهل المشركين بالله تعالى.

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير ، باب (وانذر عشيرتك الأقربين وخفض جناحك ، حديث (٤٤٩٣) .

العاشرة: أن الأنساب لا تنفع عند الله تعالى إذا لم يكن معها إيمان وعمل صالح ففيه معنى قوله تعالى في شأن إبراهيم وابنه إسحاق: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾.

الحادية عشرة: شدة خوفه ﷺ على أمته من عذاب الله تعالى.

الثانية عشرة: قرب عذاب الله من المشركين وأن الرسل إنما بعثوا رحمة بالناس لينجوا من عذاب الله وسخطه فإن آمنوا نجوا وإن أبوا فقد قامت عليهم الحجة ففيه معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

◆◆◆◆

تطبيقات

ما هو الوقت المناسب للموعظة الحسنة في الدعوة إلى الله؟

.....

.....

ما هو الفرق بين الإيمان والتصديق المجرد مع المثال لما تقول؟

.....

.....

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍۭ بَئِيسٍۭ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ الأعراف: ١٦٤ – ١٦٦، هل الذين سكتوا نجوا من العذاب؟

.....

.....

أذكر فائدتين من هذه الآيات؟

.....

.....

الفصل الخامس عشر

أن الدعوة بالموعظة الحسنة من سنة المرسلين عليهم الصلاة والسلام

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

(١) سورة الشعراء: (١٢٣- ١٤٠).

قال ابن كثير -رحمه الله-: «روى ابن أبي حاتم -رحمه الله- حدثنا أبي حدثنا الحكم بن موسى حدثنا الوليد حدثنا ابن عجلان حدثني عون بن عبدالله بن عتبة أن أبا الدرداء ﷺ لما رأى ما أحدث المسلمون في الغوطة من البنيان ونصب الشجر قام في مسجدهم فنادى يا أهل دمشق فاجتمعوا إليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ألا تستحيون ألا تستحيون تجمعون مالا تأكلون وتبنون ما لا تسكنون وتأملون مالا تدركون، إنه قد كانت قبلكم قرون يجمعون فيوعون ويبنون فيوثقون ويؤملون فيطيلون فأصبح أملهم غرورًا وأصبح جمعهم بورًا وأصبحت مساكنهم قبورًا ألا إن عادًا ملكت ما بين عدن وعمان خيلًا وركابًا فمن يشتري مني ميراث عاد بدرهمين»[1].

وقد وعظ كل نبي قومه وقال الله لنبيه ﷺ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[3]. «أي بأياديه ونعمه عليهم في إخراجه إياهم من أسر فرعون وقهره وظلمه وغشمه وإنجائه إياهم من عدوهم وفلقه لهم البحر وتظليله إياهم الغمام وإنزاله عليهم المن

(١) تفسير ابن كثير: (٣/ ٣٤١).
(٢) سورة الأنعام: (٩٠).
(٣) سورة إبراهيم: (٥).

والسلوى إلى غير ذلك من النعم»[1].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[2].

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: أن من الوعظ الحسن التذكير بنعم الله والتخويف من شدة بأسه.

الثانية: أن الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة من سنن المرسلين وعباد الله الصالحين.

الثالثة: أن سبيل رسول الله ﷺ في الدعوة إلى الله هي سبيل من تقدمه من أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام.

الرابعة: أن الوعظ يقال لجميع الناس ممن يحتاجون إليه وتأمل قول الله لموسى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾.

الخامسة: العبرة مما حصل للأمم الهالكة بسبب رفضهم ما جاءت به الرسل من النذر ولهذا قال صالح بعد هلاك قومه: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[3].

وقال شعيب عليه السلام بعد هلاك قومه: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾[4].

◆◆◆◆

(١) تفسير ابن كثير: (٢/ ٥٢٣).
(٢) سورة الشعراء: (٢٠٨، ٢٠٩).
(٣) سورة الأعراف: (٧٩).
(٤) سورة الأعراف: (٣٩).

الفصل السادس عشر

أن تخصيص المنافقين بالوعظ من البصيرة في الدعوة إلى الله

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[1].

قال ابن كثير رحمه الله «هذا إنكار من الله عز وجل على من يدعي

(١) سورة النساء: (٦٠-٦٣).

تطبيقات	
هل الرسل عليهم الصلاة والسلام استخدموا الموعظة الحسنة في دعوتهم؟	
هل الاقتداء بالرسل في الدعوة إلى الله من البصيرة، ولماذا مع ذكر الدليل؟	
ما معنى قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ﴾ إبراهيم:٥؟	

الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله»[1].

وقال ابن جرير -رحمه الله-: «يقول فدعهم فلا تعاقبهم في أبدانهم وأجسامهم ولكن عظهم بتخويفك إياهم بأس الله أن يحل بهم وعقوبته أن تنزل بدارهم وحذرهم من مكروه ما هم عليه من الشك في أمر الله وأمر رسوله ﴿وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ يقول: مرهم باتقاء الله والتصديق به وبرسوله ووعده ووعيده»[2].

وعن أبي برزة الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته» رواه أبو داود.[3] وقوله (في بيته) (أي ولو كان في بيته مخفيا من الناس»[4].

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: خطبنا رسول الله حتى أسمع العواتق في بيوتها أو قال في خدورها فقال: «يا معشر من آمن بلسانه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته» رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده.[5]

(١) تفسير ابن كثير: (١/ ٥١٩).
(٢) تفسير الطبري: (٨/ ٥١٥).
(٣) صحيح سنن أبي داود للألباني كتاب الأدب، باب في الغيبة حديث (٤٠٨٣) ٣/ ٩٢٣.
(٤) عون المعبود: (١٣/ ٢٢٤).
(٥) سند البراء بن عازب حديث (١٦٤٠) وقال الألباني في صحيح الجامع الصحيح (صحيح) رقم (١٣٩٤٤).

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: أن الرغبة عن التحاكم إلى الله ورسوله من صفات المنافقين.

الثانية: أن الخير كله في اتباع شرع الله وأن الشر في مخالفته وتأمل قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾.

الثالثة: اعتذار المنافقين بحسن النية وبيان أنها لا تنفع مع مخالفة صريح النصوص الشرعية.

الرابعة: أن من النفاق تحريف النصوص إذا خالفت الأهواء.

الخامسة: الأمر بوعظ المنافقين والمبالغة في ذلك لشدة حاجتهم إليه فالدواء يكون على قدر الداء.

السادسة: ذم من عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم إلى ما سواهما.

السابعة: التنبيه على أن اغتياب المسلمين من شعار المنافقين[1].

الثامنة: النهي عن تتبع عورات المسلمين والوعيد على ذلك ففيه معنى قوله «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب».

(١) المصدر نفسه: (١٣/ ٢٢٤)، فإنه قال: «فيه تنبيه على أن غيبة المسلم من شعار المنافق لا المؤمن».

تطبيقات	
عرف النفاق وبين أقسامه وهل هو مخرج من الدين؟	
لماذا يكون تخصيص المنافقين بالمبالغة في الوعظ؟	
في هذا الفصل بيان لشعار من شعارات المنافقين فما هو؟	
أيما أخطر على المسلمين الكفار بما فيهم أهل الكتاب أم المنافقين؟	

الفصل السابع عشر

أن من الموعظة الحسنة التذكير بأيام الله وضرب الأمثال

قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[1]

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله «يقول تعالى ذكره:لقد كان في قصص يوسف وإخوته عبرة لأهل الحجى والعقول يعتبرون بها وموعظة يتعظون بها»[2] وإذا كانت الموعظة الحسنة من الأساليب المأمور بها في الدعوة إلى الله فإن هذا نوع من أنواعها.

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[3].

(١) سورة يوسف: (١١١).
(٢) تفسر الطبري: (٣١٢/ ١٦).
(٣) سورة إبراهيم: (٥).

قال ابن جرير -رحمه الله -: حدثني يونس، قال أخبرني ابن وهب قال: ابن زيد في قول الله: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ﴾ قال: أيامه التي انتقم فيها من أهل معاصيه من الأمم. خوفهم بها وحذرهم إياها، وذكرهم أن يصيبهم ما أصاب الذين من قبلهم»[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[2]. فأخبر أن الغرض من ضرب الأمثال في القرآن الاتعاظ والاعتبار وقد قال الله تعالى لنبيه: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾[3] فعلم بهذا دخول التذكير في الأمر بهذه الوسيلة.

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[4].

قال ابن كثير رحمه الله: «أي هم عاجزون عن خلق ذباب واحد بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه لو سلبها شيئًا من الذي عليها من الطيب ثم أرادت أن تستنقذه منه لما قدرت على ذلك.

(١) تفسير ابن جرير الطبري: (١٦/ ٥٢٢).
(٢) سورة الزمر: (٢٧، ٢٨).
(٣) سورة الأنعام: (٧٠).
(٤) سورة الحج: (٧٣، ٧٤).

هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها»[1].

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: أن من الموعظة الحسنة المأمور بها في الدعوة إلى الله التذكير بقصص السابقين لما فيها من الآيات الدالة على قدرة الله وعظيم سلطانه وعلى هذا كان أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام.

الثانية: التنبيه على ما في قصة يوسف وإخوته من العبر والعظات.

الثالثة: بيان من يستفيد من هذا القصص وأنهم أهل الحجى والعقول.

الرابعة: بيان الغاية من إرسال موسى عليه السلام وأنها إخراج قومه من الظلمات إلى النور وهي الغاية من بعثة كل رسول.

الخامسة: بيان فضل التذكير بأيام الله تعالى وأن ذلك من وسائل إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

السادسة: فضل الصبر والشكر وأن أهل هذين الوصفين هم المستفيدون من التذكير بنعم الله

السابعة: بيان معنى أيام الله في هذه الآية الكريمة وأنها قد تأتي بمعنى وقائعه بأعدائه وهو المعنى الآخر للآية الكريمة وهو الذي ذكره ابن زيد والأكثر إطلاقًا على النعم وتقدم في الباب الحادي عشر.

(١) تفسير ابن كثير: (٣/ ٢٣٥).

الثامنة: بيان الحكمة من إكثار القرآن لضرب الأمثال؛ وأنها للاتعاظ والاعتبار.

التاسعة:أن ضرب الأمثال من الموعظة الحسنة لما فيها من تقريب المعاني إلى الأذهان.

العاشرة: أن في ضرب الأمثال إقامة لحجة الله على الناس. وهي من مقاصد الدعوة إلى الله.

الحادية عشرة:بيان عجز من يُدْعَوْن من دون الله من الأصنام و الأوثان وغيرها وحقارتها وأن من ضعفها عدم استطاعتها على خلق ذباب واحد وعدم أخذ ما سلبه منها وهو من أضعف مخلوقات الله.

تطبيقات

عدد بعض فوائد القصص في الدعوة إلى الله؟

.....

.....

في قصص يوسف وأخوته عبر وعظات أذكر بعض هذه العبر والعظات؟

.....

.....

أذكر بعض فوائد الصبر والشكر وأثرهما في الدعوة إلى الله؟

.....

.....

الفصل الثامن عشر

أن من البصيرة في الدعوة إلى الله المجادلة بالتي هي أحسن

قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[2]

فأرشد إلى مراعاة المقام ومنازل الناس في المجادلة ومع أن أهل الكتاب داخلون في الآية الأولى إلَّا أن ذكرهم بالتنصيص عليهم يفيد زيادة الاهتمام بهم.

قال ابن العربي رحمه الله «ليست منسوخة وإنما هي مخصوصة، لأن النبي ﷺ بعث باللسان يقاتل به في الله ثم أمره الله بالسيف واللسان حتى قامت الحجة على الخلق لله، وتبين العناد، وبلغت القدرة غايتها

(١) سورة النحل: (١٢٥).

(٢) سورة العنكبوت: (٤٦).

عشرة أعوام متصلة فمن قُدِرَ عليه قتل، ومن امتنع بقي الجدال في حقه، ولكن بما يحسن من الأدلة ويجمل من الكلام بأن يكون منك للخصم تمكين وفي خطابك له لين، وأن تستعمل من الأدلة أظهرها وأنورها وإذا لم يفهم المجادل أعاد عليه الحجة وكررها كما فعل الخليل مع الكافر حين قال له إبراهيم: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ فقال له الكافر «أنا أحيي وأميت» فحسن الجدال ونقل إلى أبين منه بالاستدلال وقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾ وهو انتقال من حق إلى حق أظهر منه ومن دليل إلى دليل أبين منه وأنور»[1].

وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡ...﴾ الآية[2]، وتدخل المجادلة بالتي هي أحسن في هذا الأمر.

قال ابن كثير -رحمه الله-: «يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم وأخرج الكلام ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة فإنه عدو لآدم وذريته من حين امتنع من السجود لآدم وعداوته ظاهرة بينه ولهذا نهي الرجل أن يشير إلى أخيه المسلم بحديدة فإن الشيطان ينزع في يده أي فربما أصابه بها»[3].

(١) أحكام القرآن: (١٤٨٧، ١٤٨٨/ ٣).
(٢) سورة الإسراء: (٢٥).
(٣) تفسير ابن كثير: (٤٥/ ٣).

وقال تعالى: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٦٨ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾[1] قال القرطبي -رحمه الله-: «قال مقاتل: هذه الآية نزلت على النبي ﷺ ليلة الإسراء وهو في السماء السابعة لما رأى من آيات ربه الكبرى فأوحى الله إليه «وإن جادلوك» بالباطل فدافعهم بقولك «الله أعلم بما تعملون» من الكفر والتكذيب. فأمره الله تعالى بالإعراض عن محاوراتهم صيانة له عن الاشتغال بتعنتهم ولا جواب لصاحب العناد» وقال «في هذه الآية أدب حسن علمه الله عباده في الرد على من جادل تعنتًا ومراءً ألاّ يجاب ولا يناظر ويدافع بهذا القول الذي علمه الله لنبيه ﷺ»[2].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إلي فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة» متفق عليه.[3] قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «هذا دال على أن النبي لابد له من معجزة تقتضي إيمان من شاهدها بصدقه، ولا يضره من أصر على المعاندة»[4] وقال أيضًا «وليس المراد حصر معجزاته ﷺ فيه [أي القرآن] ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتيه من تقدمه بل المراد أنه [أي القرآن] المعجزة العظمى

(١) سورة الحج: (٦٨،٦٩).
(٢) تفسير القرطبي: (٩٤/ ١٢).
(٣) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل حديث (٤٦٩٦) ووراه مسلم في الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حديث (١٥٢) .
(٤) فتح الباري: (٦/ ٩).

التي اختص بها دون غيره؛ لأن كل نبي أعطي معجزة خاصة به لم يعطها غيره تحدى بها قومه وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه»[1].

ووجه الاستشهاد بالحديث أن المجادلة تستلزم إيراد الحجج والبراهين ودل الحديث على أن القرآن هو المعجزة العظمى لرسالة النبي ﷺ كما قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾[2] فعلم بهذا أن الاحتجاج بالقرآن على الوجه الصحيح من المجادلة بالحسنى.

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: أن المجادلة بالتي هي أحسن حين يستدعي المقام ذلك من البصيرة التي وصفت بها دعوته ﷺ.

الثانية: أن المجادلة المذكورة تكون بما يحسن من الأدلة السمعية والعقلية وما يجمل من الكلام.

الثالثة: أن تكرار الحجج والأدلة والانتقال من الواضح إلى الأوضح في جدال من لم يبلغ درجة العناد والمكابرة من البصيرة في الدعوة إلى الله.

الرابعة: التحذير من نزغات الشيطان وأن من المواطن التي يستغلها المحاورات والمخاصمات والإرشاد إلى استعمال الكلام الحسن الطيب لدفع هذا الشر لقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾.

(١) فتح الباري: (٦/ ٩).

(٢) سورة الطور: (٣٤).

الخامسة: أن من البصيرة في الدعوة إلى الله عدم الاشتغال بجدال أصحاب العناد والتعنت وأنه لا جواب لصاحب عناد إلا ما أرشد إليه رب العباد ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

السادسة: تأييد الله لأنبيائه بالمعجزات واختصاص كل نبي بمعجزة تناسب حال قومه.

السابعة: أن معجزة نبينا ﷺ التي اختص بها هي القرآن العظيم ورجاء النبي ﷺ أن يكون اكثر الأنبياء تابعًا وقد أجابه الله إلى تحقيقه فنصف أهل الجنة من هذه الأمة. كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد الخدري[1] وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهما[2]. بل جاء ما يفيد أن ثلثي أهل الجنة منها فلله الحمد والمنة وصدق الله حيث يقول: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[3].

◆◆◆◆

(١) متفق عليه. رواه البخاري في كتاب الأنبياء وغيره باب قصة يأجوج ومأجوج ح (٣١٧٠) ومسلم في كتاب الإيمان ، باب قوله (يقول الله لآدم أخرج بعث النار ... حديث (٢٢٢) .

(٢) متفق عليه. رواه البخاري في كتاب الرقاق ،باب كيف الحشر حديث (٦١٦٣) ، ومسلم في كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة (حديث ٢٢١)

(٣) سورة الضحى: (٥).

تطبيقات
متى تكون المجادلة بالتي هي أحسن من البصيرة في الدعوة إلى الله، وبماذا تكون؟ ....
ما هي المعجزة العظمى التي اختص بها نبينا عليه الصلاة والسلام مع ذكر الدليل؟ ....
متى ينهى عن المجادلة مع ذكر الدليل؟ ....

الفصل التاسع عشر

أن المجادلة بالتي هي أحسن من سنة المرسلين عليهم الصلاة والسلام

قال الله تعالى في شأن موسى وهارون عليهما السلام: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الآيات[1].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ

(١) سورة الشعراء: (١٦-٢٦).

ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

قال أهل العلم إن هذا الملك أتى برجلين قد استحقا في نظره القتل، فقتل أحدهما وعفا عن الآخر وكان هذا -كما قال ابن كثير- ادعاء بأن لنفسه: «هذا المقام عنادًا ومكابرة ويوهم أنه الفاعل لذلك وأنه هو يحيي ويميت»[2] فجعل إبراهيم عليه السلام هذا الجواب من الملك مقدمة للحجة الدامغة التي بهت بها «أي إذا كنت كما تدعي من أنك تحيي وتميت فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذراته وتسخير كواكبه وحركاته فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق فإن كنت إلهًا كما ادعيت تحيي وتميت فأت بها من المغرب؟ فلما علم عجزه وانقطاعه وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بهت أي خرس فلا يتكلم وقامت عليه الحجة»[3].وقد جادل كل رسول قومه كما ذكر الله عنهم في سورة الأعراف ويونس وهود وإبراهيم والحجر ومريم وطه والأنبياء والشعراء والنمل والقصص والعنكبوت وغيرها وقص الله علينا من ذلك في شأن نبينا ﷺ مع أهل العناد من قومه الكثير كما في سورة النحل والإسرء، والمؤمنون وغيرها فلله الحمد والمنة.

(١) سورة البقرة: (٢٥٨).
(٢) تفسير ابن كثير: (٣١٣/ ١).
(٣) تفسير ابن كثير: (٣١٣/ ١).

عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- أن اليهود جاؤوا إلى النبي ﷺ برجل منهم وامرأة قد زنيا، فقال لهم: «كيف تفعلون بمن زنى منكم؟» قالوا نحممهما ونضربهما. فقال: «لا تجدون في التوراة الرجم؟» فقالوا لا نجد فيها شيئًا فقال لهم عبدالله بن سلام كذبتم فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فوضع مدراسها الذي يُدَرِّسُها منهم كفه على آية الرجم فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها. ولا يقرأ آية الرجم فنزع يده عن آية الرجم فقال: ما هذه؟ فلما رأوا ذلك قالوا: هي آية الرجم فأمر بهما فرجما قريبًا من حيث موضع الجنائز عند المسجد فرأيت صاحبها يحنأ عليها يقيها الحجارة» متفق عليه[1] وهذا لفظ البخاري في كتاب التفسير.

وفي حديث البراء عند مسلم: «فدعا رجلًا من علمائهم فقال أنشدك بالله وبمن أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزنى في كتابكم قال: لا. ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك. نجد الرجم».[2]

قال النووي -رحمه الله-: «قال العلماء هذا السؤال ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم وإنما هو لإلزامهم بما يعتقدونه في كتابهم ولعله ﷺ قد أوحي إليه أن الرجم في التوراة الموجودة في أيديهم لم يغيروه»[3].

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «وقال الباجي ظاهر الأمر

(١) متفق عليه (البخاري في كتاب التفسير ، باب ،(قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) حديث (٤٢٨٠) ، ومسلم في الحدود ، باب رجم اليهود أهلَ الذمة في الزنى حديث (١٦٩٩).
(٢) كتاب الحدود ، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى حديث (١٧٠٠).
(٣) شرح النووي على مسلم : (٢٠٨/ ١١)

أنهم قصدوا في جوابهم تحريف حكم التوراة والكذب على النبي ﷺ إما رجاء أن يحكم بينهم بغير ما أنزل الله وإما لأنهم قصدوا بتحكيمه التخفيف عن الزانيين واعتقدوا أن ذلك يخرجهم عما وجب عليهم أو قصدوا اختبار أمره»[1] ومعنى نحممها: نسود وجوههما بالحمم وهو الفحم، (ومدراسها) الذي يدرس كتبهم (ويحنا عليها): ينحني كما جاء مصرحًا به في بعض الروايات. فانظر كيف دخل ﷺ في جدالهم وكيف خرج منتصرًا فإنه فتح باب الجدال معهم بالسؤال عن الحكم في كتابهم فكان الجواب خلاف الواقع فطلب الدليل ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فانكشف أمرهم بما صنعوا حين التلاوة من الحيلة وما اعترف به عالمهم حين المناشدة.

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: أن هارون عليه الصلاة و السلام من المرسلين.

الثانية: امتنان فرعون على موسى بتربيته إياه وليدًا ولبثه فيهم سنين من عمره وتذكيره إياه بقتل القبطي فكان الجواب عن القتل بأنه عن جهل منبهًا عن المغفرة بذكر ما وهبه له ربه من الحكم والرسالة وأن ما امتن به عليه لا يكافئ استعباده لبني إسرائيل ولا يمكن أن تراعى على حساب هذا الحق العظيم.

(١) فتح الباري: (١٢/ ١٦٨).

الثالثة: مراعاة المقام في إيراد الحجج فانظر ما بين قول فرعون ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ وقول موسى: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ من التناسب العظيم واستغلال المقام في غاية الحسن.

الرابعة: بيان ضلال أهل الكفر وانقطاع حججهم من أول الطريق واستغلالهم للسلطة بدلًا من المحاجة بالبراهين.

الخامسة: أن تذكير أهل الباطل بما ينبغي أن يسألوا عنه قبل اللجوء إلى استخدام السلطة من البصيرة في الدعوة إلى الله كما فعل موسى عليه الصلاة والسلام.

السادسة: أن من نظر إلى معجزات الأنبياء بلا عصبية ولا هوى هُدي إلى صراط مستقيم كما حدث لسحرة فرعون فإنه رغم تعلق قلوبهم بما وعدوا به من قبل فرعون إلا أن نظرهم إلى معجزة العصا كان مجردًا من الهوى.

السابعة: أن العاقبة للمتقين.

الثامنة: في قصة موسى معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾.

التاسعة: أهمية الصبر لمن دعا إلى الله وأنه لابد منه في طريق الدعوة إلى الله.

العاشرة: حسن استغلال إبراهيم عليه السلام للموقف في إيراد الحجج بجعله لما يجري على لسان خصمه مقدمة لإيراد حجة لا يستطيع دفعها حتى ولو أراد التمويه.

الحادية عشرة: أن عدم التشاغل بما يورده الخصم من الحجج على سبيل التمويه من البصيرة في الدعوة إلى الله فإن إبراهيم عليه السلام يعلم أن ما ذكره الكافر من كونه يحيي ويميت بالطريقة التي فعلها ليست جوابًا على الحقيقة ومع هذا لم يتشاغل إبراهيم بردها على هذا الأساس لكونه يعلم أنه يريد التمويه على الناس فجعل ما ذكره مقدمة لإيراد حجته الأخرى ولو تشاغل بذلك لما وصل إلى النتيجة التي وصل إليها ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

الثانية عشرة: فيه بشرى لأهل الدعوة إلى الله تعالى بأنه يهديهم وأنه لا يهدي عدوهم ففيها معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾.

الثالثة عشرة: أن طلب الدليل من الخصم من المجادلة بالحسنى وكذا مناشدته لبيان الحقيقة.

◆◆◆◆

تطبيقات

عدد بعض الفوائد من مجادلة إبراهيم للملك وما معنى قول الملك: (أنا أحيي وأميت)؟

.....

.....

ماذا يستفاد من قول موسى عليه السلام لفرعون: ﴿أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ﴾ الشعراء: ٣٠ ؟

.....

.....

لماذا عدل فرعون عن المجادلة بالحجة إلى استخدام القوة؟

.....

.....

الفصل العشرون

أن من البصيرة في الدعوة إلى الله تعالى الرفق بالنفس

قال الله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾[1] قال ابن كثير رحمه الله: «لا تأسف عليهم بل أبلغهم رسالة الله فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تذهب نفسك عليهم حسرات»[2].

وقال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾[4].

قال ابن كثير رحمه الله: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي المكذبين بما جئت به ولا تأسف عليهم وتذهب نفسك عليهم حسرات ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ

---

(١) سورة الكهف: (٦).

(٢) تفسير ابن كثير: (٧٢/ ٣).

(٣) سورة الشعراء: (٣).

(٤) سورة النمل: (٧٠).

﴿مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ أي في كيدك ورد ما جئت به فإن الله مؤيدك وناصرك ومظهرٌ دينك على من خالفه وعانده في المشارق والمغارب)[1].

وقال تعالى: ﴿فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾[2].

قال ابن كثير رحمه الله: «أي نحن نعلم جميع ما هم فيه وسنجزيهم وصفهم ونعاملهم على ذلك يوم لا يفقدون من أعمالهم جليلًا ولا حقيرًا ولا صغيرًا ولا كبيرًا بل يعرض عليهم جميع ما كانوا يعملون قديمًا وحديثًا»[3].

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾[4] عن ابن عباس رضى الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من قد سبق له من الله السعادة في الذكر الأول ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الأول»[5].

وقال تعالى: ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾[10] أي ليس عليك هداهم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وارفق بنفسك.

(١) تفسير ابن كثير: (٣/٣٧٣).
(٢) سورة يس: (٧٦).
(٣) تفسير ابن كثير: (٣/٥٨١).
(٤) سورة يونس: (٩٩).
(٥) رواه ابن جرير في تفسيره: (١٥/٢١٢).

وقال تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾[1] وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾[2] قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «الوسع هو ما تسعه النفس ولا تضيق عنه ولا تعجز عنه»[3].

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال: من هذه؟ قالت: فلانة. تذكر من صلاتها. قال: «مه! عليكم من الأعمال بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا، وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه» متفق عليه[4]، قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «أي اشتغلوا من الأعمال بما تطيقون المداومة عليه، فمنطوقه يقتضي الأمر بالاقتصار على ما يطاق من العبادة، ومفهومه يقتضي النهي عن تكلف ما لا يطاق»[5].

قلت بل هذا منطوق أيضًا لقوله عليه الصلاة والسلام «مه!»، فإنها كلمة زجر، وقال النووي -رحمه الله-: «أي يطيقون الدوام عليه بلا ضرر وفيه دليل على الحث على الاقتصاد في العبادة واجتناب التعمق وليس الحديث مختصًا بالصلاة بل عام في جميع أعمال البر»[6] وقال أيضًا

(١) سورة الشورى: (٤٨).
(٢) سورة البقرة: (٢٧).
(٣) الاستقامة: (١/٢٧).
(٤) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه حديث (٤٣)، ورواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن حديث (٧٨٥).
(٥) فتح الباري: (١/١٠٢).
(٦) شرح النووي على صحيح مسلم: (٦/٧٠).

(وفي هذا الحديث كمال شفقته ﷺ ورأفته بأمته لأنه أرشدهم إلى ما يصلحهم وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة ولا ضرر فتكون النفس أنشط والقلب منشرحًا فتتم العبادة. بخلاف من تعاطى من الأعمال ما يشق فإنه بصدد أن يتركه أو بعضه أو يفعله بكلفة وبغير انشراح القلب فيفوته خير عظيم»[1] وقال أيضًا «وفيه الحث على المداومة على العمل وأن قليله الدائم خير من كثير ينقطع وإنما كان القليل الدائم خيرًا من الكثير المنقطع لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى وينمو القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافًا كثيرة»[2] وعن عائشة -رضى الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: (إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله) متفق عليه.[3]

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «الرفق هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف»[4].

وعنها -رضى الله عنها- قالت: (ما خير رسول الله بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه) متفق عليه.[5]

(١) شرح النووي على صحيح مسلم: (٦/ ٧٠).
(٢) المصدر نفسه.
(٣) رواه البخاري في كتابه استتابة المرتدين والمعاندين ، باب إذا عرّض الذمي وغيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصرح نحو قوله (السام عليكم) حديث (٦٥٢٨) ورواه مسلم في كتاب السلام ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم حديث (٢١٦٥).
(٤) فتح الباري: (١٠/ ٤٤٩).
(٥) أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم حديث (٣٣٦٧) ورواه مسلم في الفضائل ، باب طيب رائحة النبي صلى الله عليه وسلم حديث (٢٣٣٠).

وقوله: «بين أمرين» أي من أمور الدنيا يدل عليه قوله «ما لم يكن إثمًا» لأن أمور الدين لا إثم فيها. والأيسر الأسهل. وقوله «ما لم يكن إثمًا» ما لم يكن الأسهل مقتضيا للإثم فإنه يختار الأشد»[1]. قال النووي -رحمه الله-: «فيه استحباب الأخذ بالأيسر والأرفق ما لم يكن حرامًا أو مكروها»[2].

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: أن الرفق بالنفس من البصيرة التي وصفت بها الدعوة إلى الله تعالى.

الثانية: أن ملاحظة ما جرت به المقادير من البصيرة في الدعوة ففيها معنى قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾.

الثالثة: أن على الداعي إلى الله أن لا يضيق صدره بكيد أعداء الله فإن الله كافيه ففيها معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾.

الرابعة: أن الإعراض عما يقوله الأعداء من السفاهات من البصيرة في الدعوة إلى الله فالله يعلم ما يسرون وما يعلنون وسيجازيهم على ذلك بما يستحقون ففيها معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟

(١) المصدر نفسه: (٦/ ٥٧٥).
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم: (١٥/ ٨٣).

سَلَٰمًا ﴾.

الخامسة: أن هداية من يهتدي بتوفيق الله وأن الله لو شاء لهدى الناس جميعًا ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك لحكمة بالغة: ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖ﴾ ومنها لوازم التكليف ففيها معنى قوله تعالى: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ ومعنى قوله تعالى: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ وهداية من اهتدى بفضله وضلال من ضل بعدله.

السادسة: أن الاشتغال بما يطاق من الأعمال والمداومة عليه وترك تكلف ما لا يطاق من البصيرة في الدين ومن ذلك الدعوة إلى الله تعالى.

السابعة: فضيلة الرفق وأن الله يحبه وبيان معناه.

الثامنة: أن من هدي النبي ﷺ اختيار أيسر الأمرين المخير فيهما وبيان المراد بذلك.

التاسعة:سماحة هذا الدين ويسر شرائعه ففيه معنى قوله ﷺ: (إن هذا الدين يسر).

العاشرة: حرص النبي ﷺ على إيصال الخير إلى الناس وأن هذا الحرص من البصيرة في الدعوة إلى الله ما لم يصل إلى حد الحزن وإهلاك النفس.

الحادية عشرة: أهمية الرفق في الدعوة إلى الله وذلك يناسب مشقة الطريق وطولها لئلا ينقطع به الطريق ففيها معنى «المنبتّ لا أرضًا قطع

ولا ظهرًا أبقى».

الثانية عشرة: عناية الله ببيان هذه الدعوة بيانًا يشمل غاياتها ووسائلها وأهلها.

الثالثة عشرة: أن الرفق مطلوب في أعمال البر كلها ومن أشرفها الدعوة إلى الله تعالى.

تطبيقات

من البصيرة في الدعوة إلى الله الرفق بالنفس وضح ذلك مع ذكر ثمار هذا الخلق على الدعوة والداعية؟

.....

.....

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة: ٢٨٦

ما هو الوسع مع ذكر صور من الواقع يتبين بها أثر هذه الآية في مسار الدعوة إلى الله تعالى؟

.....

.....

من خُلق رسول الله ﷺ اختيار الأيسر فيما خير فيه فعلى ماذا يدل هذا الفعل؟ بين أهمية الأخذ بهذه السنة؟

.....

.....

ما الفرق بين المداهنة والمداراة والمجاملة مع بيان حكم كل منها؟

.....

.....

الفصل الواحد والعشرون

أن من البصيرة في الدعوة إلى الله تعالى الرفق بالناس

قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[1].

قال ابن جرير -رحمه الله-: «معناه: خذ العفو من أخلاق الناس واترك الغلظة عليهم»[1] وقال ابن سعدي -رحمه الله-: «هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس أن يأخذ العفو أي ما سمحت به أنفسهم وما سهل عليهم من الأعمال بالأخلاق. فلا يكلفهم مالا تسمح به طبائعهم بل يشكر من كل أحد ما قابله به من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم ولا ينكر على الصغير لصغره، ولا ناقص العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتنشرح له صدورهم «وأمر

(١) سورة الأعراف: (١٩٩).

بالعرف» أي بكل قول حسن وفعل جميل وخلق كامل للقريب والبعيد فاجعل ما يأتي إلى الناس منك إما تعليم علم أو حثًا على خير من صلة رحم أو بر وتقوى أو زجر عن قبيح أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية. ولما كان لا بد من أذية الجاهل. أمر الله تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله»[1].

وقال تعالى: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾[2] قال ابن سعدي رحمه الله: «هذا الصفح الذي لا أذية فيه بل قابل إساءة المسيء بالإحسان وذنبه بالغفران لتنال من ربك جزيل الأجر والثواب فإن كل ما هو آت قريب، ثم ظهر لي أحسن مما ذكرت هنا وهو:أن المأمور به هو الصفح الجميل أي الحسن الذي قد سلم من الحقد والأذيه القولية والفعلية دون الصفح الذي ليس بجميل وهو الصفح في غير محله فلا يصفح حيث يقتضي المقام العقوبة»[3].

عن أبي أمامة ﷺ قال: قال عمرو بن عبسة السلمي كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شئ وهم يعبدون الأوثان فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارًا فقعدت على راحلتي فقدمت عليه فإذا رسول الله ﷺ مستخفيًا جرآءٌ عليه قومه فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له: ما أنت؟ قال: نبي، فقلت: وما نبي؟

(١) تفسير الطبري: (١٣/ ٣٢٩).
(٢) تفسير ابن سعدي: (١٣٤/ ٣/ ١٣٥).
(٣) سورة الحجر: (٨٥).

قال: أرسلني الله، فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحّد الله ولا يشرك به شيء، قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: حر وعبد، قال ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به فقلت إني متبعك قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ألا ترى حالي وحال الناس، ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني، قال فذهبت إلى أهلي، وقدم رسول الله ﷺ المدينة وكنت في أهلي فجعلت أتخبرَّ الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة حتى قدم عليَّ نفر من أهل يثرب من أهل المدينة فقلت ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة فقالوا: الناس إليه سراع وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك فقدمت المدينة فدخلت عليه فقلت يا رسول الله أتعرفني؟ قال: نعم، أنت الذي لقيتني بمكة، قال: فقلت بلى فقلت يا نبي الله أخبرني عما علمكَ الله وأجهلُه. أخبرني عن الصلاة، قال: صل صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح ثم أقصر عن الصلاة فإن حينئذ تُسّجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار قال: فقلت يا نبي الله فالوضوء حدثني عنه قال: ما منكم رجل يقرب وضوءه فيتمضمض

ويستنشق فينتثر إلَّا خرت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه، ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرت خطايا يديه من أنامله مع الماء ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء فإن هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجده بالذي هو له أهل وفرَّغ قلبه لله إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه. فحدث عمرو بن عبسة بهذا الحديث أبا أمامة صاحب رسول الله ﷺ فقال له أبو أمامه يا عمرو بن عبسه انظر ما تقول: في مقام واحد يعطى هذا الرجل؟ فقال عمرو يا أبا أمامة: لقد كبرت سني ورق عظمي واقترب أجلي وما بي حاجة أن أكذب على الله ولا على رسوله لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثًا حتى عد سبع مرات)ما حدثت به أبدًا ولكني سمعته أكثر من ذلك) رواه مسلم.[1]

قال النووي: (معناه لو لم أتحققه وأجزم به لما حدثت به وذكر المرات بيانًا لصورة حاله ولم يرد أن ذلك شرط)[2]. وعن معاوية بن الحكم السلمي قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم فقلت واثكل أمياه! ما شأنكم تنظرون إليّ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب إسلام عمرو بن عبسة ، حديث (٨٣٢) ٥٦٩/ ١.

(٢) تفسير ابن سعدي: (١٧٧/ ٣).

يصمتونني لكني سكت فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبى هو وأمي ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن منه فوالله ما نهرني ولا ضربني ولا شتمني قال إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن أو كما قال رسول الله ﷺ» رواه مسلم.

وقوله: «ما نهرني»: أي ما انتهرني. قال النووي: «فيه بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به ورفقه بالجاهل ورأفته بأمته وحسن تعليمه واللطف به وتقريب الصواب إلى فهمه»[1].

وعن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال: (إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه) رواه مسلم.[2]

قال الحافظ بن حجر -رحمه الله-: «المعنى أنه يتأتى معه من الأمور ما لا يتأتى مع ضده، وقيل المراد يثيب عليه ما لا يثيب على غيره والأول أوجه»[3].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من يحرم الرفق يحرم الخير) رواه مسلم.[4]

قال النووي: «وفي هذه الأحاديث فضل الرفق والحث على التخلق

(١) شرح النووي على صحيح مسلم: (٦/ ١١٨).

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل الرفق حديث (٢٥٩٣) ٢٠٠٣/ ٤.

(٣) شرح النووي على مسلم: (٢٠/ ٥).

(٤) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل الرفق حديث (٢٥٩٢) ٢٠٠٣/ ٤.

[به][1] وذم العنف. والرفق سبب كل خير»[2].

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: الأمر بالرفق بالناس وعدم الغلظة عليهم ففيه معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾.

الثانية: بيان ما ينبغي أن يكون عليه من يدعو إلى الله عز وجل من مراعاة أحوال الناس وطباعهم.

الثالثة: أن من الرفق بالناس الإعراض عن جاهلهم وأن ذلك كله من البصيرة في الدعوة إلى الله تعالى.

الرابعة: أن أذى الجاهل متوقع فالواجب نحوه الإعراض عنه ففيه توطين النفس على ذلك.

الخامسة: الاهتمام بسلامة المسلمين من الأعداء ولذا أرجأ ﷺ إظهار عمرو بن عبسة لإسلامه إلى ظهور أمره ﷺ وبين له السبب بقوله (إنك لا تستطيع) واستشهد له بالواقع (ألا ترى حالي وحال الناس ففيه بيان ما عليه دعاة الهدى).

السادسة: أهمية مفارقة المشركين ومخالفتهم (ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان

(١) فتح الباري: (٤٤٩/ ١٠).

(٢) لفظ (به) ساقط من الأصل في النسخ التي لدي ولا تستقيم العبارة بدونه.

وحينئذٍ يسجد لها الكفار) ففيه معنى قوله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم».

السابعة: حرص الصحابة على حفظ حديث النبي ﷺ وتثبتهم في قبول الأخبار.

الثامنة: فضل الوضوء والصلاة بعده.

التاسعة: حسن خلقه ﷺ ورفقه بالجاهل وحسن تعليمه.

العاشرة: فضل الرفق وأنه «من حرم الرفق حرم الخير».

تطبيقات

قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ الأعراف: ١٩٩ هذه الآية جامعة لمحاسن الأخلاق وضح ما تستطيع من معالم الدعوة في ظلال هذه الآية الكريمة؟

.....

.....

ما معنى الألفاظ التالية : العفو، العرف، الصفح الجميل؟

.....

.....

الرفق بالناس من البصيرة في الدعوة إلى الله بين وجه ذلك مستدلاً بما ورد من نصوص في هذا الفصل؟

.....

.....

الفصل الثاني و العشرون

أن من البصيرة في الدعوة إلى الله التيسير وعدم التعسير

قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾[١] قال قتادة: «فأريدوا لأنفسكم الذي أراد الله لكم»[٢]، وفي التعسير على الناس أو النفس من المشقة ما ينافي هذا المقصد الشرعي وهو إرادة التيسير وقال محمد بن صالح بن دينار التمار المدني قال: قلت للقاسم بن محمد: إنا نسافر في الشتاء وفي رمضان فإن صمت فيه كان أهون عليّ من أن أقضيه في الحر: قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ ما كان أيسر عليك فافعل»[٣] وقد تقرر لدى جمهور الأصوليين: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. فيدخل في

(١) شرح النووي على صحيح مسلم: (١٤٥/ ١٦).
(٢) سورة البقرة: (١٨٥).
(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره: (٤٧٦/ ٣).

ذلك الدعوة إلى الله تعالى.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[1].

قال أبو جعفر الطبري: «يريد الله أن ييسر عليكم»[2] ومن ذلك التيسير على الناس وعدم التعسير لاسيما وقد ختم هذا الخبر بقوله: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ وذلك كالتعليل للتخفيف وهي عامة فيدخل فيها جميع المدعوين.

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[3].

قال أبو جعفر الطبري: ﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ يقول فلا تعجلوا بقتل من أردتم قتله ممن التبس عليكم أمر إسلامه فلعل الله أن يكون قد منّ عليه من الإسلام بمثل الذي من به عليكم، وهداه لمثل الذي هداكم له من الإيمان»[4].

(١) تفسير الطبري: (٤٦٩/ ٣).
(٢) سورة النساء: (٢٨).
(٣) تفسير الطبري: (٢١٥/ ٨).
(٤) سورة النساء: (٩٤).

وقال ابن عباس -رضى الله عنهما-: «حرم الله على المؤمنين أن يقولوا لمن شهد أن لا إله إلا الله ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾، كما حرم عليهم الميتة، فهو آمن على ماله ودمه ولا تردوا عليه قوله»[1] ولاشك أن من قال لا إله إلَّا الله في مواطن القتال قد يقصد به التخلص من القتل وقد يكون صادقًا والقرينة تشهد برجحان الأول وفي تقديم هذا الرجحان إزهاق نفس بغير يقين في استحقاق ذلك مع منافاته للتيسير ولأن اليقين متعذر حتى في مواطن الأمن فكان مقتضى التيسير أن تجرى الأحكام على الظواهر وتوكل السرائر إلى علَّام الغيوب.

وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[3] يستوي في هذا ما يعمله المرء وما يطلبه من غيره.

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة» رواه البخاري.[4]

المشادة: المقاواة، والمعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب[5].

(١) تفسير الطبري: (٧١/ ٩).
(٢) المصدر نفسه: (٨١/ ٩).
(٣) سورة البقرة: (٢٨٦).
(٤) رواه البخاري في كتاب الإيمان ،باب الدين يسر حديث (٣٩)
(٥) سورة المؤمنون: (٦٢).

قال ابن المنير: «ليس المراد منع الأكمل في العبادة فإنه من الأمور المحمودة بل منع الإفراط المؤدي الى الملال، والمبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل»..[1] وقال الحافظ ابن حجر: «قد يستفاد من هذا الإشارة إلى الأخذ بالرخصة الشرعية فإن الأخذ بالعزيمة في موضع الرخصة تنطع»[2] ومعنى «فسددوا وقاربوا وأبشروا» أي الزموا السداد وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط فإن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه وأبشروا بالثواب على العمل الدائم وإن قل والمراد تبشير من عجز عن العمل بالأكمل بأن العجز إذا لم يكن من صنيعه لا يستلزم نقص أجره وأبهم المبشر به تعظيمًا وتفخيما[3].

وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا» متفق عليه[4] وفي رواية: «سكنوا ولا تنفروا».[5]

قال الحافظ ابن حجر: «المراد تأليف من قرب إسلامه وترك التشديد عليه في الابتداء، وكذا الزجر عن المعاصي ينبغي أن يكون بتلطف يقبل وكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدريج لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلًا حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط وكانت عاقبته غالبًا الازدياد بخلاف ضده»[6] وقال أيضًا: «أمر بالتيسير والمراد

(١) فتح الباري: (١/ ٩٥).
(٢) المصدر نفسه: (١/ ٩٥).
(٣) فتح الباري: (١/ ٩٥).
(٤) رواه البخاري في كتاب العلم ، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا . حديث (٦٩) ، ورواه مسلم في الجهاد في السير ، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير حديث (١٧٣٢) ٣/ ١٣٥٩
(٥) رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب الأمر بالتيسير وترك التنفير حديث (١٧٣٤) .
(٦) المصدر نفسه: (١/ ٩٥).

به الأخذ بالتسكين تارة وبالتيسير أخرى من جهة أن التنفير يصاحب المشقة غالبًا وهو ضد التسكين، والتيسير يصاحب التسكين غالبًا وهو ضد التنفير»[1].

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: أن هذا الدين مبني على التيسير وعدم التعسير وأن ذلك ما أراده الله بهذه الأمة فيما شرعه لهم من الشرائع.

الثانية: بيان السبب في تخفيف الله على عباده وهو قوله: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾.

الثالثة: أن الحكم على الناس مبني على الظاهر وأما الباطن فيوكل إلى الله وفي ذلك من التيسير ما لا يخفى.

الرابعة: عظم حرمة المؤمن عند الله تعالى وأن مفتاح الإيمان (لا إله إلا الله) فمن قالها حرم ماله ودمه إلا بحقها وحسابه على الله.

الخامسة: الأمر بلزوم السداد في القول والفعل وأنه الصواب ولا يكون كذلك إلا إذا وقع موافقا للكتاب والسنة المطهرة.

السادسة: التحذير من الغلو والتعمق في الدين وأن ذلك بمنزلة المغالبة للدين ولن يغلبه أحد ولهذا قال النبي ﷺ: (عليكم من الأعمال بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا).

(١) المصدر نفسه: (١٠/ ٥٢٥).

السابعة: أن من حرص على مقاربة الكمال إذا عجز عن بلوغه نال درجته ما لم يكن عجزه بسبب منه.

الثامنة: الحث على استغلال أوقات النشاط في فعل الطاعات (واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)[1].

التاسعة: الأمر بالتيسير على الناس والنهي عن التنفير وبيان المراد بهما.

العاشرة: الأمر بتبشير الناس بما أعد الله لعباده من الثواب العاجل والآجل.

الحادية عشرة: الأمر بمراعاة، أحوال الناس من التيسير والتسكين والتبشير وأن السنة فعل كل واحد في الحال المناسبة له إذا لم يكن الفعل محددًا من قبل الشارع بوقت.

(١) المصدر نفسه: (٥٢٥/ ١٠).

تطبيقات

من البصيرة في الدعوة إلى الله التيسير وعدم التعسير بين بعض أوجه التيسير من خلال مطالعتك لنصوص هذا الفصل مع بيان السلبيات التي تترتب على ترك هذا الخلق؟

.....

.....

أذكر بعضًا من فوائد حديث أبي أمامة رضي الله عنه في قصة عمرو بن عبسة السلمي مما يتعلق بالدعوة إلى الله ،مع ذكر بعض الشواهد من نصوص أخرى في هذا الفصل؟

.....

.....

أذكر صورًا من محاسن خلق النبي ﷺ مما ورد ذكره في هذا الفصل؟

.....

.....

الفصل الثالث والعشرون

أن من البصيرة في الدعوة إلى الله تنزيل الناس منازلهم

قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] وإذًا فالتسوية بينهم خلاف البصيرة وتنزيل كل شيء في منزلته لاسيما في مجال الدعوة إلى الله تعالى من البصيرة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2] وفي هذا دليل على تفاوت منازل الناس عند الله بحسب تقواهم لله تعالى وعلى المؤمنين أن يتمسكوا بهذا المنهج لا سيما الدعاة إلى الله وذلك مما يشد من دعوتهم ويقوي في أتباعهم صدق التوجه إلى الله وحسن التنافس في مجال تقوى الله تعالى.

---

(١) المعنى: استعينوا على مداومة العبادة بإيقاعها في الأوقات المنشطة. والغدوة: سير أول النهار، والروحه: السير بعد الزوال، والدلجة سير آخر الليل.

(٢) سورة الزمر: (٩).

وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾[1] لأن المساواة بينهم ضرب من الجور والله منزه عن ذلك فعلى الداعية أن يتنبه في مقابلاته وحديثه وسائر معاملاته حتى لا ينتقض عليه أمره فيستريب الناس في دعوته.

وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾[2] وإذا كان الله لم يجعلهم سواء فعلى الداعية أن يضع كلًا في منزلته التي أنزله الله إياها.

وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3].

قال ابن جرير الطبري -رحمه الله-: «قل يا محمد لا يعتدل الرديء والجيد، والصالح والطالح، والمطيع والعاصي ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ يقول: لا يعتدل العاصي والمطيع لله عند الله ولو كثر أهل المعاصي فعجبت من كثرتهم لأن أهل طاعة الله هم المفلحون الفائزون بثواب الله يوم القيامة وإن قلوا دون أهل معصيته، وأن أهل معاصيه هم الأخسرون الخائبون وإن كثروا... فلا تعجبن من كثرة من يعصى الله فيمهله ولا يعاجله بالعقوبة فإن العقبى الصالحة لأهل طاعة الله عنده دونهم.. واتقوا الله بطاعته فيما أمركم ونهاكم واحذروا أن

(١) سورة الحجرات: (١٣).
(٢) سورة ن: (٣٥).
(٣) سورة ص: (٢٨).

يستحوذ عليكم الشيطان بإعجابكم كثرة الخبيث فتصيروا منهم»[1]. وفي هذا تنبيه هام جدًا للمؤمنين عامة ولمن دعا إلى الله منهم على وجه الخصوص أن يضعوا الطيب من الناس في منزلته والخبيث منهم في منزلته مهما كثر الخبث وألاّ يغتروا بهذه الكثرة وهكذا الشأن في الأعمال والأقوال والمعتقدات.

عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ خرج فقام عبد الله بن حذافة ﷺ فقال: من أبي؟ فقال أبوك حذافة.ثم أكثر أن يقول: سلوني، فبرك عمر على ركبتيه، فقال: رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا، فسكت) رواه البخاري ومسلم.[2] وكان من مراعاة منزلة رسول الله ﷺ أن لا توجه إليه هذه الأسئلة وقد تنبه لهذا الخطأ عمر بن الخطاب ﷺ ففعل ما فعله ﷺ. وعنه قال: سألوا رسول الله ﷺ حتى أحفوه بالمسألة فغضب فصعد المنبر فقال: (لا تسألوني عن شيء إلا بينته لكم)، فجعلت أنظر يمينًا وشمالًا فإذا كل رجل لافّ رأسه في ثوبه يبكي. فإذا رجل كان لاحي الرجال يدعى لغير أبيه، فقال: يا رسول الله من أبي؟ قال حذافة، ثم أنشأ عمر، فقال: رضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولًا، نعوذ بالله من الفتن، فقال رسول الله ﷺ: (ما رأيت في الخير والشر كاليوم قط، إنه صُوِّرَتْ لي الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط) متفق عليه.[3] قال النووي: «وأما بروك عمر ﷺ

(١) سورة المائدة: (١٠).
(٢) رواه البخاري في كتاب العلم، باب برك على ركبتيه عند الإمام أو المحدث حديث (٩٣) ورواه مسلم في كتاب الفضائل، باب توقيره صلى الله عليه وسلم وترك إكثار سؤاله حديث (٢٣٥٩) ١٨٣٢/ ٤.
(٣) رواه البخاري في كتاب الفتن، باب التعوذ من الفتن حديث (٦٦٧٨) ورواه مسلم في كتاب الفضائل، باب توقيره صلى الله عليه وسلم وترك إكثار سؤاله حديث (٢٣٥٩/ ١٣٧، ١٨٣٤ / ٤

وقوله، فإنما فعله أدبا وإكرامًا لرسول الله ﷺ وشفقة على المسلمين لئلا يؤذوا النبي ﷺ فيهلكوا»[1]. وأحفوه: أي أكثروا في الإلحاح والمبالغة فيه. ومعنى قوله (لاحى) من الملاحاة وهي المخاصمة والسباب.

وقال الحافظ ابن حجر: «وفي الحديث.. مراقبة الصحابة أحوال النبي ﷺ وشدة إشفاقهم إذا غضب خشية أن يكون لأمر يعم فيعمهم»[2].

وروي عن عيسي بن مريم عليه السلام أنه قال: «كن طبيبًا رفيقا يضع دواءه حيث إنه ينفع»[3] وذلك يستلزم معرفة منازل الناس.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (ما أنت محدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة) أخرجه مسلم في المقدمة[4] ومعرفة ما تبلغه عقول الناس يستدعي التعرف على منازلهم ليوضع كل في منـزلته.

وقال عروة بن الزبير: (ما حدثت أحدًا بشيء من العلم قط لم

(١) تفسير الطبري: (٩٦، ٩٧/ ١١).

* ولا يخفى أن وضع الطيب في منزلته، والخبيث في منزلته ومعاملة كل بما يليق بمقامه على الوجه الشرعي من الأمور المهمة التي تساعد على إظهار الحق وإبطال الباطل ونشر الفضيلة بين الناس والتنفير من الرذيلة.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم: (١١٣/ ١٥).

(٣) فتح الباري: (٢٧٠/ ١٣).

(٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: (٤٤٧/ ١).

يبلغه عقله إلا كان ضلالا عليه) رواه مسلم في المقدمة[1] وقال عبد الله ابن عباس -رضي الله عنهما-: (حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله) رواه البخاري[2].

وقال الزهري: «كان مجلس عمر مغتصًا من القراء شبابًا وكهولًا فربما استشارهم، ويقول: لا يمنع أحدكم حداثة سنه أن يشير برأيه فإن العلم ليس على حداثة السن وقدمه، ولكن الله يضعه حيث يشاء»[3] وفي هذا تنبيه هام على أن تنـزيل الناس منازلهم لا يعني رد الحق إذا جاء من الأدنى بل يقبل الحق مهما كان قائله أو فاعله.

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: فضل العلم وعلو منزلة العلماء وأن ذلك متقرر عند ذوي العقول من الناس.

الثانية: أن إنزال العالم منـزلته من البصيرة في الدين.

الثالثة: وجود التفاضل في الدنيا بين الناس وأن الآخرة أكبر تفاضلًا ففيه معنى قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾.

الرابعة: أن ميزان الكرامة عند الله تقواه فأكرم الناس عنده أتقاهم.

(١) المصدر نفسه: (٥٣٩/ ١).

(٢) المصدر نفسه: (٥٣٩/ ١).

(٣) المصدر نفسه: (٥٤٠/ ١).

الخامسة: أن الله لا يضع المجرم في منزلة المسلم ولا المفسدين في الأرض منـزلة الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

السادسة: أن الإيمان والعمل الصالح متلازمان فلا إيمان بلا عمل صالح مع الإمكان فمن جمع بينهما لم يصدر منه فساد في الأرض عن قصد وعمد فإن وقع فبجهالة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾[1].

السابعة: إطلاق الخبيث على من لا يؤمن بالله ورسوله ﷺ وأن من يؤمن بالله ورسوله فهو الطيب.

الثامنة: التحذير من الاغترار بكثرة الخبيث، والتنبيه بأن العاقل لا يقبل بذلك.

التاسعة: توقير النبي ﷺ والخوف من غضبه لئلا تنزل عقوبة الله بسبب ذلك.

العاشرة: معرفة عمر بالله ورسوله ﷺ ولذا برك بين يدي رسول الله مناشدًا إياه أن يكف مستعيذًا بالله من الفتن وهذا من فقهه رضي الله عنه.

الحادية عشرة: التحذير من سؤال أهل العلم تعنتًا أو في أمر لا يترتب عليه عمل لا سيما إذا كان يترتب عليه فتنة.

الثانية عشرة: دفع كبرى المفاسد بصغراها، فإن المفسدة الكبرى أن يشك في رسالة النبي ﷺ إذا لم يجب، والصغرى ما يترتب على الجواب

(١) المصدر نفسه: (٦١٩/ ١). ورواه أيضًا عبد الرزاق في مصنفه: (٤٤٠/ ١١).

لو خالف ما يعرفه الناس مما عليه ظاهر الأمر ولهذا اشتد غضبه واخذ يقول اسألوني ويقول إن الجنة والنار صورتا له وراء الحائط إشارة إلى عظم الفتنة.

الثالثة عشرة: تشبيه عيسى عليه السلام من يعلم الناس الخير بالطبيب الذي يعرف الداء ولا يصرف الدواء إلا حين يعلم أنه ينفع.

الرابعة عشرة:مراعاة عقول الناس وفهومهم فلا يخاطبون بما لا تدركه عقولهم لئلا يحملهم ضعف الفهم على تكذيب بعض ما يعرض عليهم من الحق فيهلكوا.

الخامسة عشرة: أهمية التعرف على الناس ومنازلهم حتى يتمكن الداعية من تنـزيلهم منازلهم التي تليق بهم.

السادسة عشرة: تشجيع عمر على إلقاء كلمة الحق وأنه لا يشترط في قبولها سن معين بل تقبل ولو من حديث السن لأن العلم ليس بكبر سن ولا بحداثته ولكنه منحة من الله يضعها حيث يشاء.

السابعة عشرة: فقه الصحابة في الدين والبصيرة في الدعوة إلى الله رب العالمين؛ ولهذا تأثروا من غضب النبي ﷺ وبكوا خشية لله تعالى فرضي الله عنهم أجمعين.

تطبيقات

تنزيل الناس منازلهم من البصيرة في الدعوة إلى الله بين أثر هذا الخلق في نجاح الدعوة إلى الله مستشهداً على ذلك بما تعرف من الوقائع الناجحة التي استخدم فيها هذا الخلق؟

.....

.....

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الحجرات: ١٣ بين علاقة هذه الآية بموضوع هذا الفصل، مع بيان أهميتها لمن يدعو إلى الله؟

.....

.....

أذكر خمس فوائد تهم الداعية ويتعلق بهذا الخلق؟

.....

.....

الفصل الرابع والعشرون

أن من البصيرة في الدعوة إلى الله تقدير المواقف

قال الله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[١] وما ذلك إلَّا لما هو فيه من خيلاء الملك وكبرياء السلطة فلو لم يقدر هذا الموقف ما كان لموسى أن يبلغه رسالة الله حتى تقوم عليه الحجة.

قال ابن كثير -رحمه الله-: «هذه الآية فيها عبرة عظيمة وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين»[٢].

وقال وهب بن منبه «قولا له إني إلى العفو والمغفرة أقرب مني إلى الغضب والعقوبة»[٣].

---

(١) سورة طه: (٤٤).

(٢) تفسير ابن كثير: (١٥٣/ ٣).

(٣) نفس المصدر.

وقال ابن كثير: «والحاصل من أقوالهم أن دعوتهما له تكون بكلام رقيق لين سهل رفيق ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع»[1] وقوله: ﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ أي لعله يرجع عما هو فيه من الضلال والهلكة ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾ أي يوجد طاعة من خشية ربه.. فالتذكر الرجوع عن المحذور والخشية تحصيل الطاعة)[2].

وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾[3] وذلك أن حال الخصومات من مواطن الزلل التي يحرص عليها الشيطان فأمر المؤمنون أن يقدروا هذا الموقف ليكونوا أشد احترازًا من الزلل منهم في أي موطن آخر ومن يتأمل مواطن الدعوة يعلم أن كثيرًا منها يندرج تحت هذا الحكم بل هي أولى.

قال ابن كثير –رحمه الله–: «يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله ﷺ أن يأمر عباده المؤمنين أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم وأخرج الكلام إلى الفعال ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة فإنه عدو لآدم

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فكما أن الخوف من الله يستلزم العلم به، فالعلم به يستلزم خشيته، وخشيته تستلزم طاعته. [مجموع الفتاوى ٢٤/ ٧]

(٣) سورة الإسراء: (٥٣).

وذريته من حين امتنع من السجود لآدم، وعداوته ظاهرة بينة»[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[2] وذلك أن دفع الشر بمثله يزيده إيقادًا فأمر النبي ﷺ بتقدير هذا الموقف بأن يدافع بالإحسان وأخبر الله أن ذلك نافع في كسر شر العداوة وتحويلها إلى ضدها من الموالاة والمحبة.

قال ابن عباس: «أي ادفع بحلمك جهل من جهل عليك»[3] وقال: «أمره الله تعالى في هذه الآية بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة فإذا فعل الناس ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم»[4].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (هاجر إبراهيم عليه السلام بسارة فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة، فقيل: دخل إبراهيم بامرأة هي من أحسن النساء فأرسل إليه أن يا إبراهيم من هذه التي معك؟ قال: أختي.ثم رجع إليها فقال: لا تكذبي حديثي، فإني أخبرتهم أنك أختي، والله ما على الأرض مؤمن غيري وغيرك.

(١) تفسير ابن كثير: (٤٥/ ٣).

(٢) فصلت: (٣٤، ٣٥).

(٣) تفسير القرطبي: (٣٦١، ٣٦٢/ ١٦).

(٤) نفس المرجع.

فأرسل بها إليه فقام إليها فقامت تتوضأ وتصلي، فقالت: اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط علي الكافر فغط حتى ركض برجله)[1] رواه البخاري وفي رواية له (فأتى سارة فقال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني، فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده. فأُخذ، فقال: أدعي الله ولا أضرك فدعت الله فأطلق. ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت فأطلق فدعا بعض حجبته فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان إنما أتيتموني بشيطان فأخدمها هاجر فأتته وهو يصلي فأومأ بيده مهيا، قالت: رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره وأخدم هاجر)[2] وفي رواية أنها قالت: (اللهم إن يمت فيقال هي قتلته فأرسل في الثانية أو في الثالثة)[3] وعند مسلم (فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك فإن سألك فأخبريه أنك أختي فإنك أختي في الإسلام)[4] فانظر كيف أن الخليل عليه السلام قدر هذا الموقف فاستعمل أخوة الإسلام مكان أخوة النسب من باب التورية تقليلا للشر.

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «اختلف في السبب الذي حمل

(١) كتاب البيوع حديث: (٢١٠٤)، باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه.
(٢) كتاب الأنبياء حديث: (٣١٧٩)، باب قول الله تعالى (واتخذ الله إبراهيم خليلا) .
(٣) كتاب البيوع حديث:(٢١٠٤) ، باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه .
(٤) كتاب الفضائل ،باب من فضائل إبراهيم الخليل ، حديث (٢٣٧١/ ١٥٤) ١٨٤٠/ ٤ .

إبراهيم على هذه الوصية مع أن ذلك الظالم يريد اغتصابها على نفسها أختًا كانت أو زوجة، فقيل كان من دين ذلك الملك أن لا يتعرض إلا لذوات الأزواج كذا قيل ويحتاج إلى تتمة وهو أن إبراهيم أراد دفع أعظم الضررين بارتكاب أخفهما وذلك أن اغتصاب الملك إياها واقع لا محالة لكن إن علم أن لها زوجًا في الحياة حملته الغيرة على قتله وإعدامه أو حبسه وإضراره بخلاف ما إذا علم أن لها أخًا فإن الغيرة تكون حينئذ من قبيل الأخ خاصة لا من قبيل الملك فلا يبالي به»[1] قلت القول بأن دين الملك أن لا يتعرض إلا لذوات الأزواج فيه نظر، لأن في القصة أنه أراد اغتصابها مع أنه قيل له بأنها أخته لكن التتمة يشهد لها ظاهر الوصية.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (لما صالح رسول الله ﷺ أهل الحديبية كتب عليّ بينهم كتابًا، فكتب محمد رسول الله ﷺ فقال المشركون لا تكتب محمدًا رسول الله، لو كنت رسولًا لم نقاتلك فقال لعلي: (أمحه) فقال عليّ: ما أنا بالذي أمحاه، فمحاه رسول الله ﷺ بيده وصالحهم على أن يدخل هو وأصحابه ثلاثة أيام ولا يدخلوها إلا بجلبان السلاح فسألوه ما جلبان السلاح فقال القراب بما فيه) متفق عليه.[2] وفي رواية (قالوا لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئًا ولكن أنت محمد بن عبد الله.فقال: أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله). فتأمل كيف تنزل

(١) فتح الباري: (٣٩٣/ ٦).
(٢) رواه البخاري في كتاب الصلح ، باب كيف يكتب : هذا ما صالح فلان بن فلان ، وفلان ابن فلان وإن لم ينسبه إلى قبيلة أو نسبه حديث (٢٥٥١/ ٢٥٥٢) ، ورواه مسلم في كتاب الجهاد والسير باب صلح الحديبية في الحديبية حديث (١٧٨٣) .

النبي ﷺ مع أهل مكة في الصلح فمحى لفظ «رسول الله» وهي حق تقديرًا لموقف القوم إذ هم لا يعترفون بذلك ولو أصر على ذلك لم يتم الصلح وليس فيما أثبته النبي ﷺ ما يناقض دعوته وينافي رسالته.

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: أن ملاطفة كبار القوم ذوي الغطرسة والكبرياء لغرض إبلاغهم دين الله من البصيرة في الدعوة إلى الله وذلك من تقدير المواقف.

الثانية: التأمل في كلام ابن كثير رحمه الله على هذه الآية الكريمة.

الثالثة: أن من الملاطفة واللين في الدعوة إلى الله التذكير بعفو الله وسعة رحمته.

الرابعة: بيان معنى قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾.

الخامسة: أمر الله لعباده في مواقف النزاع والخصام أن يقولوا التي هي أحسن.

السادسة: بيان ما ينبغي فعله عند مواجهة الجهل والغضب والإساءة وأن ذلك كله يدفع بالحلم والصبر والعفو.

السابعة: بيان منزلة من تخلق بهذا الخلق الكريم.

الثامنة: أن من هدي الأنبياء تنبيه الأصحاب والأتباع والأهل وسائر الأقارب بما يتوقع تعرضهم له ليستعدوا لذلك بما يناسب المقام.

التاسعة: أن من تقدير المواقف دفع أعظم الضررين بأخفهما وأن ذلك من البصيرة.

العاشرة: منزلة سارة (زوج إبراهيم) من الإيمان وإخلاصها في الدعاء وتقديرها للموقف الذي هي فيه.

الحادية عشرة: مشروعية التوسل إلى الله بالعمل الصالح وكيفيته حيث قالت: (اللهم إن كنت آمنت بك... إلخ) فاستجاب الله لها.

الثانية عشرة: مشروعية الفزع إلى الصلاة في الملمات وفيها معنى قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ وهو ما كان يفعله رسول الله ﷺ.

الثالثة عشرة: قدرة الله على خلقه وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

الرابعة عشرة: ضعف ابن آدم وأنه حين تحل به عقوبة الله لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا وتأمل كيف عرف هذا الجبار أن قوته لا تخلصه مما وقع فيه فطلب الدعاء منها وقد أدرك هذا فرعون من بعده فقال: (يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون).

الخامسة عشرة: جهل الكفار بالله عز وجل، فهذا الجبار حين حصل له ما حصل أسند ذلك الفعل إلى الشياطين ولم يسنده إلى قدرة الله وعظيم سلطانه سبحانه وتعالى وقد يكون هذا من قبيل التعمية على الأتباع.

السادسة عشرة: موافقة الرسول ﷺ للمشركين في عدم كتابة لفظ «محمد رسول الله» ووضع مكانها «محمد بن عبد الله» وقوله (أنا محمد رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله) تقديرًا للموقف وأن ذلك من البصيرة في الدعوة إلى الله و ليس في ذلك ما ينفي نبوته.

السابعة عشرة: تقديره ﷺ لموقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين قال: ما أنا بالذي أمحاه حيث لم يكرر عليه الأمر ولم يدخل معه في جدل ولا وجه له لومًا بل تناول الكتاب ومحاه بيده الشريفة تحقيقًا للمصلحة وأن كل ذلك من البصيرة في الدعوة إلى الله تعالى.

الثامنة عشرة: إباحة استعمال المعاريض عند الضرورة (إنها أختي) (وإنك أختي في الإسلام).

التاسعة عشرة: أن إجابة السائل تكون من حيث الصدق والكذب بحسب توجه السؤال إلى المقصود ولذا سماه الخليل كذبًا مع أنه مطابق للواقع نظرًا لكونه غير مسئول عنه مع علمه بما يريده السائل لكنه مباح هنا للضرورة بل قد يتعين كما هو الحال هنا لو افترض غير إبراهيم نظرًا لعظم مكانة الأنبياء عند الله تعالى وقوة توكلهم عليه.

تطبيقات

من الأخلاق الهامة لمن يدعو إلى الله تعالى تقدير المواقف وضح أهمية ذلك ومدى أثرها على نجاح الدعوة إلى الله .

.....

.....

قال تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ **طه: ٤٤ بين الشاهد ووجه الاستشهاد من هذه الآية لموضوع هذا الفصل؟**

.....

.....

ما هي الفائدة من دعوة من علم من عدم القبول من سادات القوم؟

.....

.....

اشرح قول ابن عباس-رضي الله عنهما-: «ادفع بحلمك جهل من جهل عليك»؟

.....

.....

الفصل الخامس والعشرون

أن من البصيرة في الدعوة إلى الله الحذر من أن يفتن الداعي عن بعض ما أنزل الله على رسوله ﷺ

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[1] ينهى الله نبيه عن اتباع أهل الكتاب في أهوائهم المخالفة لما جاءه من الحق وفي ذلك تنبيه على أن ما خالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهو من الأهواء الفاسدة فليكن المؤمن على حذر.

قال أبو جعفر الطبري -رحمه الله-: «اعمل بكتابي الذي أنزلته إليك إذا احتكموا إليك فاخترت الحكم عليهم ولا تتركن العمل بذلك اتباعًا منك أهواءهم وإيثارًا لها على الحق الذي أنزلته إليك في كتابي»[2]

وقال ابن سعدي -رحمه الله-: «أي لا تجعل اتباع أهوائهم الفاسدة

(١) سورة المائدة: (٤٨).

(٢) تفسير الطبري: (٣٨٣/ ١٠).

المعارضة للحق بدلا عما جاءك من الحق فتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير»[1].

وقال ابن كثير -رحمه الله-: «قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ أي آراءهم التي اصطلحوا عليها وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسله ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أي لا تنصرف عن الحق الذي أمرك الله به إلى أهواء هؤلاء من الجهلة الأشقياء»[2].

وقال تعالى: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[3].

قال أبو جعفر الطبري ﷺ: «واحذر يا محمد هؤلاء اليهود الذين جاءوا إليك محتكمين إليك (أن يفتنوك فيصدوك عن بعض ما أنزل الله إليك من حكم كتابه فيحملوك على ترك العمل به واتباع أهوائهم»[4]

وقال ابن كثير -رحمه الله-: «أي واحذر أعداءك اليهود أن يلبسوا عليك الحق فيما ينهونه إليك من الأمور فلا تغتر بهم فإنهم كذبة كفرة خونة»[5].

وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ

(١) تفسير ابن سعدي: (٣٠٠/ ٢).
(٢) تفسير ابن كثير: (٦٦/ ٢).
(٣) سورة المائدة: (٤٩).
(٤) تفسير الطبري: (٣٩٢/ ١٠).
(٥) تفسير ابن كثير: (٦٧/ ٢).

إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[1].

قال ابن كثير -رحمه الله-: «ليست اليهود ولا النصارى راضية عنك أبدًا فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضى الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق».

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ أي قل يا محمد إن هدى الله الذي بعثني به هو الهدى يعني هو الدين[2] المستقيم الصحيح الكامل الشامل. وقال على قوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ إلخ. فيه تهديد ووعيد شديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى بعد ما علموا من القرآن والسنة عياذًا بالله من ذلك فإن الخطاب مع الرسول والأمر لأمته»[3].

عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: «إن الله عز وجل أنزل ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ﴿... فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، ﴿... فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ قال ابن عباس أنزلها الله عز وجل في الطائفتين من اليهود وكانت إحداهما قد قهرت الأخرى في الجاهلية حتى ارتضوا -واصطلحوا- على أن كل قتيل قتلته العزيزة من الذليلة فديته خمسون وسقًا وكل قتيل قتلته الذليلة من العزيزة

(١) سورة البقرة: (١٢٠).
(٢) تفسير بن كثير: (:١٦٣/ ١).
(٣) نفس المرجع.

فديته مائة وسق، فكانوا على ذلك حتى قدم النبي ﷺ فذلت الطائفتان كلتاهما لمقدم رسول الله ﷺ ويومئذ لم يظهر ولم يوطئها عليه وهو في الصلح فقتلت الذليلة من العزيزة قتيلًا فأرسلت العزيزة إلى الذليلة أن ابعثوا إلينا بمائة وسق، فقالت الذليلة: وهل كان هذا في حيين قط دينهما واحد ونسبهما واحد وبلدهما واحد، دية بعضهما نصف دية بعض؟ إنما أعطيناكم هذا ضيما منكم لنا وفرقًا منكم فأما إذ قدم محمد فلا نعطيكم ذلك فكادت الحرب تهيج بينهما فاصطلحوا على أن يجعلوا رسول الله ﷺ بينهم، ثم ذكرت العزيزة فقالت: والله ما محمد بمعطيكم منهم ضعف ما يعطيهم منكم. ولقد صدقوا ما أعطونا هذا إلا ضيمًا منا وقهرًا لهم فدسوا إلى محمد من يخبر لكم رأيه إن أعطاكم ما تريدون حكمتموه وإن لم يعطكم حذرتم فلم تحكموه فدسوا إلى رسول الله ﷺ ناسًا من المنافقين ليخبروا لهم رأي رسول الله ﷺ فلما جاء رسول الله ﷺ أخبر الله رسوله ﷺ بأمرهم كله وما أرادوا فأنزل الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ ثم قال: فيهما والله أنزلت، وإياهم عنى الله عز وجل رواه أحمد[1] ومعنى قوله (لم يظهر) أي لم يظهر من إحدى الطائفتين تعدٍ على الأخرى وقوله (لم يوطئها) أي لم يوافقهما النبي ﷺ على ما اصطلحا عليه من الدية.

(١) رواه أحمد في سنده (٢٢١٢) وقال الشيخ أحمد شاكر: اسناده صحيح ٤/ ٤٤

وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (قال كعب ابن أسد وابن صوريا وناس من قيس بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا: يا محمد، إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم وإنا إنْ اتبعناك اتّبَعَنا يهود ولم يخالفونا وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن لك ونصدقك فأبى رسول الله ﷺ فأنزل الله فيهم ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ إلى قوله: ﴿لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾[1] فانظر كيف يدخلون أهواءهم ويضعون لها من المبررات ما يشعر بأن القوم على حق وما هم كذلك ولكن الله عصم نبيه.

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: بيان أن ما أنزل الله على رسوله ﷺ هو الحق.

الثانية: النهي عن اتباع أهواء أهل الكتاب وغيرهم من باب أولى.

الثالثة: وجوب العمل بما أنزل الله على رسوله ﷺ والحكم به بين الناس ولو كانوا أهل كتاب وعدم الالتفات إلى مصطلحاتهم المخالفة لأمر الله.

(١) تفسير الطبري: (٣٩٣/ ١٠).

الرابعة: التحذير من فتنة أهل الكتاب لاسيما مع قوله ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم».

الخامسة: بيان مكر أهل الكتاب في إيقاع الفتنه بدعاة الحق.

السادسة: تصريح بعضهم لبعض بهذه الرغبة أعاذنا الله من مكرهم.

السابعة: التنبيه على أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وذلك أن الحكم بغير ما أنزل الله بين أهل الكتاب مفسدة وإيمانهم واتباعهم لرسول الله ﷺ كما يزعمون مصلحة فقدم النبي ﷺ دفع المفسدة على جلب المصلحة.

الثامنة: التنبيه على تقديم المصالح المحققة على المظنونة.

التاسعة: أن ترك العمل بما أنزل الله بحجة توقع مصلحة عظمى فتنة وليس حكمة.

العاشرة: عناية الله برسوله ﷺ حيث أنزل عليه بيان ما عزم أهل الكتاب عليه قبل وصولهم إليه ففيه معنى قوله: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾.

الحادية عشرة: أن الله لا يرضى بالجور في الحكم ولو كان المتحاكمان غير مسلمين ففيه معنى قوله تعالى: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

الثانية عشرة: بيان كيف يزين الشيطان لبني آدم سوء أعمالهم فهذا الرهط من يهود يعلمون أنهم ظلمة فيما ألزموا به إخوانهم الآخرين بشأن الديات مع اتفاقهم في الدين والنسب ومع هذا يسعون في تثبيت هذا الظلم وتبريره أمام النبي ﷺ وإغراء النبي ﷺ بالوعود الكاذبة ليحملوه على موافقتهم على هذا الظلم والله لا يحب الظالمين.

تطبيقات	
قال تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ المائدة: ٤٨ بين الشاهد من هذه الآية لموضوع هذا الفصل ووجه الاستشهاد؟	
اذكر بعض طرق المكر لدى أهل الكتاب	
ما رأيك في من ترك العمل بما أنز الله بحجة توقع مصلحة عظمى ؟	

الفصل السادس والعشرون

في بيان أن من البصيرة في الدعوة إلى الله الصبر على الأذى فيها

قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾[1] يأمر الله نبيه بهذا النوع من الصبر في دعوته وهي التي وصفت بالبصيرة فعلم أن الصبر على الأذى من البصيرة. قال القرطبي: «هو الذي لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله»[2].

وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[3]. قال ابن كثير -رحمه الله-: «تأكيد للأمر بالصبر وإخبار بأن ذلك لا ينال إلا بمشيئة الله وإعانته وحوله وقوته»[4]، وقال الله عن رسله عليهم الصلاة والسلام

(١) سورة المعارج: (٥).
(٢) تفسير القرطبي: (١٨/٢٨٤).
(٣) سورة النحل: (١٢٧).
(٤) تفسير ابن كثير: (٢/٥٩٢).

أنهم قالوا لقومهم: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾[1] وقد أمر النبي ﷺ بالاقتداء بهم.

قال ابن جرير: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾ في الله وعلى ما نلقى منكم من المكروه فيه بسبب دعائنا لكم إلى ما ندعوكم إليه من البراءة من الأوثان والأصنام وإخلاص العبادة له»[2].

وقال تعالى في شأن لقمان ووعظه لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[3].

قال ابن سعدي: «لما علم أنه لا بد أن يبتلى إذا أمر ونهى وأن في الأمر والنهي مشقة على النفوس أمره بالصبر على ذلك»[4].

وقال ابن العربي «روى علماؤنا عن مالك: أن لقمان قال لابنه: يا بني إن الناس قد تطاول عليهم ما يوعدون وهم إلى الآخرة سراعًا يذهبون وإنك قد استدبرت الدنيا منذ كنت واستقبلت الآخرة وإن دارًا تسير إليها أقرب إليك من دار تخرج عنها، وقال لقمان: يا بني، ليس غنىً كصحة، ولا نعمة كطيب نفس. وقال لقمان لابنه: يا بني: لا تجالس الفجار ولا تماشهم، اتق أن ينزل عليهم عذاب من السماء

(١) سورة إبراهيم: (١٢).
(٢) تفسير الطبري: (١٦/ ٥٣٩).
(٣) سورة لقمان: (١٢).
(٤) تفسير ابن سعدي: (٧/ ١٥٩).

فيصيبك معهم. وقال يا بني، جالس العلماء وماشهم عسى أن تنزل عليهم رحمة فتصيبك معهم»[1] فقوله «إن الناس قد تطاول عليهم ما يوعدون» يشير إلى سبب الإعراض عن الآخرة وذلك سبب للأذى المتوقع منهم فلا بد من توطين النفس على الصبر ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «ولا بد للإنسان من شيئين: طاعته بفعل المأمور وترك المحظور وصبره على ما يصيبه من القضاء المقدور فالأول هو التقوى والثاني هو الصبر»[2].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: «إن استطعت أن تعمل بالرضا على اليقين فافعل وإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا»[3].

عن قيس بن أبي حازم قال: (سمعت خبابًا يقول: أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت يا رسول الله ألا تدعو الله لنا فقعد وهو محمر وجهه فقال: لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم وعصب وما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله) زاد بيان (والذئب على غنمه)

(١) أحكام القرآن لابن العربي: (٣/ ١٤٩٥، ١٤٩٦).
(٢) مجموع الفتاوى: (٦/ ١٠).
(٣) المصدر نفسه: (٤٠/ ١٠).

وفي رواية (ولكنكم تستعجلون) رواه البخاري.[1]

قال ابن التين: «كان هؤلاء الذين فعل بهم ذلك أنبياء أو اتباعهم» قال: «وكان في الصحابة من لو فعل به ذلك لصبر إلى أن قال: وما زال خلق من الصحابة واتباعهم ممن بعدهم يؤذون في الله ولو أخذوا بالرخصة لساغ لهم»[2].

وعن عروة ابن الزبير قال: سألت ابن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ قال: بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ رواه البخاري.[3]

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه خطب فقال: (من أشجع الناس؟ فقالوا:أنت قال أما إني ما بارزني أحد إلا أنصفت منه ولكنه أبو بكر، لقد رأيت رسول الله ﷺ أخذته قريش فهذا يجؤه وهذا يتلقاه ويقولون له أنت تجعل الآلهة إلهًا واحدًا فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويدفع هذا ويقول ويلكم: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ ثم بكى عليٌّ، ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون أفضل أم أبو بكر؟ فسكت القوم، فقال:عليٌّ والله لساعة من أبي بكر خير منه، ذاك يكتم إيمانه وهذا يعلن إيمانه) رواه البزار[4].

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام حديث (٣٤١٦).
(٢) فتح الباري: (١٦٧/ ٧).
(٣) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة حديث (٣٦٤٣).
(٤) انظر فتح الباري: (١٦٩، ١٧٠/ ٧).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «ولا تقع فتنة إلَّا من ترك ما أمر الله به فإنه سبحانه أمر بالحق وأمر بالصبر فالفتنة إما من ترك الحق أو من ترك الصبر»[1].

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: الأمر بالصبر الجميل وبيان معناه.

الثانية: حلم الله على من عصاه حيث لم يعاجلهم بالعقوبة وهو عليهم قادر.

الثالثة: أن الصبر الجميل من البصيرة في الدعوة إلى الله حيث أمر به.

الرابعة: أهمية الاستعانة بالله وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله.

الخامسة: أن الصبر على الأذى في الله دأب الصالحين من عباد الله.

السادسة: أن الصبر في الله من عزائم الأمور التي لا يقوى عليها إلا أولوا العزم من الرجال.

السابعة: بيان ما لقيه الصحابة من الأذى قبل الهجرة وجواب النبي ﷺ لخباب في هذا الشأن.

الثامنة: تشابه مواقف الكفار من المؤمنين وقوة إيمان هؤلاء الذين ذكرهم النبي ﷺ وعظم صبرهم في الله.

التاسعة: أن العاقبة للمتقين.

(١) الاستقامة: (٣٩/ ١).

العاشرة: شدة ما لاقاه النبي ﷺ من الأذى وصبره على ذلك.

الحادية عشرة: شجاعة أبي بكر الصديق وقوة إيمانه.

الثانية عشرة: فضل أبي بكر الصديق رضى الله عنه وحسن بلائه في الدعوة إلى الله تعالى.

الثالثة عشرة: معرفة الصحابة قدر أبي بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين ولهذا نبه علي رضي الله عنه على فضله ففيه بيان ضلالة من طعن فيه رضي الله عنه ونال من قدره.

الرابعة عشرة: معرفة الصحابة بالله تعالى حيث لا تفاضل عندهم إلا بالتقوى والعمل الصالح.

الخامسة عشرة: عظم رحمة الله بعباده وجميل عدله وسعة فضله حيث أمر بالصبر في الدعوة لتبليغ الناس ولتقوم عليهم الحجة ففيه معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، وقوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.

◆◆◆◆

تطبيقات

ما علاقة الصبر بالبصيرة في الدعوة إلى الله مدعمًا جوابك بالأدلة؟

.....

.....

قال تعالى : ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ المعارج: ٥ ما هو الصبر الجميل؟

.....

.....

وما معنى قوله تعالى : ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا﴾ النحل:١٢٧؟

.....

.....

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «لا بد للإنسان من شيئين : طاعته بفعل المأمور وترك المحظور، وصبره على ما يصيبه من القضاء المقدور»، ما وجه هذا الكلام وهل عليه دليل من الكتاب والسنة أذكر ما يفيد ذلك؟

.....

.....

الفصل السابع والعشرون

أن وسائل الدعوة موزونة بميزان الشرع فيما يجوز وما لا يجوز وأن ضبطها بذلك من البصيرة في الدعوة إلى الله تعالى

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾[1].

قال أبو جعفر الطبري -رحمه الله -: «يعني بذلك: والذين يعملون بما في كتاب الله ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بحدودها، ولم يضيعوا أوقاتها ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فمن فعل ذلك من خلقي فإني لا أضيع أجر عمله الصالح»[2] وفي قوله)يمسكون(قراءتان. الأولى: بالتشديد من مسّك بمعنى تمسّك والثانية بالتخفيف من أمسك قال في الدر المصون: «ولكن أمسك متعد قال تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾

(١) سورة الأعراف: (١٧٠).

(٢) تفسير الطبري: (٢١٦/ ١٣).

فعلى هذه مفعوله محذوف تقديره «يمسكون دينهم وأعمالهم بالكتاب» فالباء يجوز أن تكون للحال وأن تكون للآلة أي مصاحبين للكتاب أي لأوامره ونواهيه»[1].

وقال القرطبي: «والقراءة الأولى أولى، لأن فيها معنى التكرير والتكثير للتمسك بكتاب الله تعالى وبدينه فبذلك يمدحون فالتمسك بكتاب الله والدين يحتاج إلى الملازمة والتكرير لعقل ذلك»[2]، ومن التمسك بالكتاب الدعوة إلى الله تعالى واستخدام الوسائل الممكنة شرعًا لتحقيق مقاصدها.

وقال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[3] وقد جاء في معنى الحكمة أقوال لأهل العلم فروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنها: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله.وروي عن مجاهد -رحمه الله- أنها الإصابة في القول، وعنه أيضًا أنها: العلم والفقه والقرآن.

وروي عن أبي العالية -رحمه الله- أنها خشية الله فإن خشية الله رأس كل حكمة، وعنه أيضًا أنها الكتاب والفهم. وعن أبي مالك أنها: السنة.

(١) الدرر المصون: (٥٠٩/ ٥).
(٢) تفسير القرطبي: (٣١٣/ ٧).
(٣) سورة البقرة: (٢٦٩).

قال الإمام مالك: «وإنه ليقع في قلبي أن الحكمة هو الفقه في دين الله وأمر يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله ومما يبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلًا في أمر الدنيا إذا نظر فيها وتجد آخر ضعيفًا في أمر دنياه عالمًا بأمر دينه بصيرًا به يؤتيه الله إياه ويحرمه هذا فالحكمة الفقه في دين الله» ويرى السدي أنها: النبوة، حكى ذلك كله ابن كثير - رحمه الله- وقال: «والصحيح أن الحكمة كما قاله الجمهور لا تختص بالنبوة بل هي أعم منها وأعلاها النبوة. والرسالة أخص ولكن لأتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع»[1] وقد رجح ابن جرير -رحمه الله-: أن الحكمة هي الإصابة في القول والفعل وقال إن جميع الأقوال داخلة في هذا القول «لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم وعلم ومعرفة»[2].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3].

(١) تفسير ابن كثير: (٣٢٢/ ١).
(٢) تفسير ابن جرير: (٢٧٩/ ٥).
(٣) سورة التوبة: (١٢٠،١٢١).

قال ابن كثير -رحمه الله-: «يعاتب تبارك وتعالى المتخلفين عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك من أهل المدينة ومن حولها ومن أحياء العرب ورغبتهم بأنفسهم عن مواساته فيما حصل له من المشقة فإنهم نقصوا أنفسهم من الأجر؛ لأنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ وهو العطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ وهو التعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ وهي المجاعة ﴿وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ أي ينزلون منزلًا يرهب عدوهم ﴿وَلَا يَنَالُونَ﴾ منه ظفرًا وغلبة عليه ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ بهذه الأعمال التي ليست داخلة تحت قُدَرِهم وإنما هي ناشئة عن أفعالهم أعمالًا صالحة وثوابًا جزيلًا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ كقوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾... ولا ينفق هؤلاء الغزاة في سبيل الله ﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ أي قليلًا ولا كثيرًا ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ أي في السير إلى الأعداء ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ ولم يقل ههنا به؛ لأن هذه أفعال صادرة عنهم ولهذا قال: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وقد حصل لأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه من هذه الآية حظ وافر ونصيب عظيم وذلك أنه أنفق في هذه الغزوة النفقات الجليلة والأموال الجزيلة»[1] فانظر كيف اعتبر آثار الوسائل التي استخدمت في سبيل الله أعمالًا صالحة مع أنها ليست داخلةً في قدراتهم وفي ذلك من الترغيب والتحريض على استخدام الوسائل المؤدية إلى تحقيق إعلاء

(١) تفسير ابن كثير: (٢/ ٤٠٠).

كلمة الله تعالى والصبر على ما يلحق المؤمن من المشقة ما فيه فسبحانه من إله كريم جل جلاله وعظم سلطانه ولا إله غيره. أما نفس الوسائل فقد كتبها في سبيله، بل جعل مثل هذا كله لمن عجز عن المشاركة ونفسه متعلقة بذلك فعن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه قال: «كنا مع الرسول ﷺ في غزاة فقال: «إن في المدينة رجالًا ما سرتم مسيرًا ولا قطعتكم واديًا إلَّا كانوا معكم حبسهم المرض» وفي رواية «إلَّا شركوكم في الأجر» رواه مسلم [1] وعن أنس رضي الله عنه قال: رجعنا من غزوة تبوك مع النبي ﷺ فقال: «إن أقوامًا خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبًا ولا واديًا إلَّا وهم معنا حبسهم العذر» رواه البخاري.[2]

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[3]، قال أبو جعفر الطبري -رحمه الله-: «كان أصحاب مسجد الضرار قد أتوا وهو يتجهز

(١) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب عن ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر (حديث ١٩١١/ ١٥٩، ٣/ ١٥١٨.

(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب من حبسه العذر عن الغزو حديث (٢٦٨٣/ ٢٦٨٤)

(٣) سورة التوبة: (١٠٧-١١٠).

إلى تبوك فقالوا: يا رسول الله، إنا قد بنينا مسجدًا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه! فقال: إني على جناح سفر وحال شغل أو كما. قال ﷺ ولو قد قدمنا أتيناكم إن شاء الله فصلينا لكم فيه فلما نزل رسول الله ﷺ بذي أوان أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم، أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عدي أو أخاه عاصم بن عدي أخا بني العجلان فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن دخشم فقال مالك لمعن: أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي! فدخل إلى أهله فأخذ سعفًا من النخل فأشعل فيه نارًا ثم خرجا يشتدان حتى دخلا المسجد وفيه أهله فحرقاه وهدماه وتفرقوا عنه ونزل فيه من القرآن ما نزل»[1] وقال أيضًا فتأويل الكلام: والذين ابتنوا مسجدًا ضرارًا لمسجد رسول الله ﷺ وكفرًا بالله لمحادتهم بذلك رسول الله ﷺ ويفرقوا به المؤمنين ليصلي فيه بعضهم دون مسجد رسول الله ﷺ وبعضهم في مسجد رسول الله ﷺ فيختلفوا بسبب ذلك ويفترقوا ﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ يقول: وإعدادًا له لأبي عامر الكافر الذي خالف الله ورسوله وكفر بهما وقاتل رسول الله ﴿مِن قَبْلُ﴾ يعني من قبل بنائهم ذلك المسجد. وذلك أن أبا عامر هو الذي كان حزب الأحزاب يعني حزب الأحزاب لقتال

(١) تفسير الطبري: (٤٦٨/ ١٤).

رسول الله ﷺ فلما خذله الله لحق بالروم يطلب النصر من ملكهم على نبي الله وكتب إلى أهل مسجد الضرار يأمرهم ببناء المسجد الذي كانوا بنوه فيما ذكر عنه ليصلي فيه فيما يزعم إذا رجع ففعلوا ذلك وهذا معنى قول الله جل ثناؤه ﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[1].

وقال ابن كثير -رحمه الله-: (كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب وقد تنصر في الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب وكان فيه عبادة في الجاهلية وله شرف في الخزرج كبير فلما قدم الرسول ﷺ مهاجرًا إلى المدينة واجتمع المسلمون عليه وسار للإسلام كلمة عالية وأظهره الله يوم بدر شرق اللعين أبو عامر بريقه وبارز بالعداوة وظاهر بها وخرج فارًا إلى كفار مكة من مشركي قريش يمالئهم على حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا بمن وافقهم من أحبار العرب وقدموا عام أحد فكان من أمر المسلمين ما كان وأمتحنهم الله عز وجل وكانت العاقبة للمتقين... وكان رسول الله دعاه إلى الله قبل فراره وقرأ عليه من القرآن فأبى أن يسلم وتمرد فدعى عليه رسول الله ﷺ أن يموت بعيدًا طريدًا فنالته هذه الدعوة وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد ورأى أمر رسول الله ﷺ في ارتفاع وظهور ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي ﷺ فوعده ومناه وأقام عنده وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم أنه

(١) المصدر نفسه: (٤٦٩،٤٧٠/ ١٤).

سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ ويغلبه ويرده عما هو فيه وأمرهم أن يتخذوا له معقلًا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه ويكون مرصدًا له إذا قدم عليهم بعد ذلك»[1]... إلخ.

وقال القرطبي -رحمه الله-: «قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وإذا كان المسجد الذي يتخذ للعبادة وحض الشرع على بنائه فقال: «من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاه بنى الله له بيتًا في الجنة» يهدم وينزع إذا كان فيه ضرر بغيره فما ظنك بسواه بل هو أحرى أن يزال ويهدم حتى لا يدخل ضرر على الأقدم»[2] فانظر إلى شياطين الإنس كيف عمدوا إلى وسيلة هي في الأصل من أفضل القرب وأقوى أسباب جمع الكلمة وألفة القلوب ووضعوها في غير موضعها لتحقيق عكس مقاصدها الشرعية من تفريق الكلمة وتشتيت القلوب وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله فكشف الله سترهم وفضح أمرهم وأزال كيدهم فله الحمد والمنة وهكذا ينبغي أن ينظر في الوسائل الشرعية في عينها وكيفية وضعها ومكانها فقد تستقيم في عينها وكيفيتها وتنحرف في مكانها كالقراءة في السجود والركوع فإنه لا يجوز مع كونه في الأصل من أفضل القرب في موضعها.

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ

(١) تفسير ابن كثير: (٢/ ٣٨٨،٣٨٧).
(٢) تفسير القرطبي: (٨/ ٢٥٥).

ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[1] والوسيلة: القربة في قول أكثر المفسرين[2].وقيل المحبة، قاله ابن زيد وقرأ قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾[3] والقول بأنها القربة أعم.

وفي حديث جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما-: أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة» رواه البخاري.[4]

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني -رحمه الله-: «الوسيلة هي ما يتقرب به إلى الكبير يقال توسلت أي تقربت وتطلق على المنزلة العلية ووقع ذلك في حديث عبدالله بن عمر وعند مسلم بلفظ «فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلَّا لعبد من عباد الله»... الحديث. ونحوه للبزار عند أبي هريرة. ويمكن ردها إلى الأول بأن الواصل إلى تلك المنزلة قريب من الله فتكون كالقربة التي يتوسل بها»[5]. ومن لا حظ الأمر بالتقوى والجهاد عرف صحة ما قاله الحافظ وعليه فتدخل كل قربة في هذا الأمر

(١) سورة المائدة: (٣٥).
(٢) انظر تفسير الطبري: (١٠/ ٢٩٠،٢٩١).
(٣) نفس المرجع.
(٤) رواه البخاري في كتاب الآذان ، باب الدعاء عند النداء حديث (٥٨٩).
(٥) فتح الباري: (٢/ ٩٥).

من الوسائل والمقاصد.

وعن معاوية ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك» متفق عليه.

قال النووي: «وأما هذه الطائفة فقال البخاري هم أهل العلم، وقال أحمد بن حنبل إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم. قال القاضي عياض إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد أهل الحديث قلت: ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون ومنهم فقهاء ومنهم محدثون ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ومنهم أنواع أخرى من الخير ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض.

وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة فإن هذا الوصف ما زال بحمد الله تعالى من زمن النبي ﷺ إلى الآن ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث»[1] وصدق -رحمه الله- فإنه ما زال ظاهرًا إلى يومنا هذا وسيظل حتى يأتي أمر الله.

وعن عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع بالدجال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو لما يبعث به من الشبهات» رواه أبو داود.[2]

(١) شرح النووي: (٦٦،٦٧/ ١٣).

(٢) صحيح سنن أبي دوود للألباني من كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال حديث ٣٦٢٩/ ٤٣١٩ - ٣/٨١٤.

وفيه دليل على وجوب ابتعاد المؤمن عن أصحاب الشبهات إذا لم يكن لديه من الفقه في الدين والعلم بالكتاب المبين والسنة المطهرة ما يقيه الوقوع في حبائلهم وأما خصوص الدجال فهو واجب على الكل لعظم فتنته واليأس من هدايته وقد جاء الأمر لعموم المؤمنين فيؤخذ على عمومه وفيه مشروعية التحذير من أصحاب الشبهات حماية للدين ووقاية للمؤمنين، والله المستعان.

وعن علي ﷺ قال: بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد الغنوي والزبير بن العوام وكلنا فارس قال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعه إلى المشركين» فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ فقلنا: الكتاب، فقالت: ما معنا كتاب، فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتابًا فقلنا: ما كذب رسول الله ﷺ لتخرجنّ الكتاب أو لنجردنك، فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها، وهي محتجزة بكساء فأخرجته فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ فقال عمر: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه فقال النبي ﷺ: «ما حملك على ما صنعت؟ قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمنًا بالله ورسوله ﷺ، أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي وليس أحد من أصحابك إلّا له من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله. فقال النبي ﷺ: «صدق، ولا تقولوا له إلّا خيرًا» فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين

فدعني فلأضرب عنقه فقال: (أليس من أهل بدر؟ فقال لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة أو قد غفرت لكم، فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم» رواه البخاري.[1]

فتبين بهذا أن الوسائل ليست توقيفية فقد أمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وصاحبيه ﷺ بالانطلاق ولم يحدد لهم الوسيلة فأشار علي ﷺ إليها بقوله «وكلنا فارس» وأخبرهم ﷺ بوجود الكتاب مع هذه المرأة ولم يحدد لهم كيفية الحصول عليه منها ففعلوا من الوسائل ما توصلوا به إلى المطلوب وتدرجوا من السهل إلى الأشد وهددوا بارتكاب ما هو محظور لدفع ما هو أشد حضرًا، وأن الوسائل إذا لم تكن مباحة لم يجز استخدامها إلَّا لدفع ما هو أشد ولهذا أبطل الله الوسيلة التي استخدمها حاطب ﷺ ووقى المسلمين شرها واعتبرت زلة غفرها الله لمكانه في غزوة بدر.

قال ابن العربي -رحمه الله-: «إن دلسة حاطب على النبي ﷺ بما كتب به إلى أهل مكة من جملة المعاصي الكبائر والذنوب الفواحش لكنها لم تخرجه من الإيمان لما كانت من معاصي الأعمال وكان قلبه خالصًا لكنه توهم أمرًا عصى بفعله لأجله وكان في كتابه تعظيم الإسلام فإنه قال فيه إن رسول الله ﷺ وارد عليكم بجنود كالسيل في الليل»[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ حين أراد حنينًا:

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدراً حديث (٣٧٦٢).
(٢) عارضة الأحوذي: (١٩٢/ ١٢).

«منـزلنا غدًا -إن شاء الله- بخيف بني كنانة، حيث تقاسموا على الكفر» رواه البخاري في المغازي [1] ورواه في الحج من طريق الأوزاعي وفيه: «قال النبي ﷺ من الغد يوم النحر وهو بمنى «نحن نازلون غدًا بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر» يعني ذلك المحصب وذلك أن قريشًا وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني عبد المطلب أو بني المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم النبي ﷺ. قال أبو عبدالله (يعني البخاري) بني المطلب أشبه. [2]

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قيل إنما أختار النبي ﷺ النزول في ذلك الموضع ليتذكر ما كانوا فيه فيشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه من الفتح العظيم وتمكنه من دخول مكة ظاهرًا على رغم أنف من سعى في إخراجه منها ومبالغة في الصفح عن الذين أساءوا ومقابلتهم بالمن والإحسان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»[3]. وقال عن اختلاف الروايتين: «ويحتمل التعدد»[4].

ولاشك أن في ذلك إظهارًا لما أنعم الله به عليه من النصر وحسن العاقبة وذلك من الشكر كما أن فيه تذكيرًا بتحقيق وعد الله ليزداد الذين آمنوا إيمانًا. وصفحًا جميلًا عمن أساء إليه فما نزل في هذا المنـزل إلَّا نزول

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح، حديث (٤٠٣٣ / ٤٠٣٤).
(٢) رواه البخاري في كتاب الحج، باب نزول النبي صلى الله عليه وسلم مكة (حديث ١٥١٢ / ١٥١٣)
(٣) فتح الباري (١٥ / ٨). (٤) المرجع السابق.

الشاكرين الكرماء عليه الصلاة والسلام.

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: فضل التمسك بكتاب الله وأن من التمسك به الدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم العلم واستخدام وسائلها ولهذا قال الله: ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ إذ كلها مأمور بها في الكتاب أصالة أو تبعًا.

الثانية: التنويه بشأن الصلاة لعظم شأنها وأهميتها من الدين.

الثالثة: فضل الحكمة وبيان معناها. وتأمل قول الإمام مالك رحمه الله تعالى.

الرابعة: أن الوسائل لها أحكام المقاصد وأنها تشرف بشرف مقاصدها وأن الله يثيب عليها وعلى آثارها المترتبة عليها ولو لم تكن في مقدور فاعلها. وتأمل في أقوال النبي ﷺ في أصحاب الأعذار.

الخامسة: أن الوسيلة تقبح بقبح مقصدها فانظر إلى مسجد الضرار كيف تحول إلى منكر تجب إزالته حين كان لقصد تفريق المسلمين وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله ﷺ وفي ذلك عظة عظيمة وتنبيه هام على أهمية الفقه في الدين حتى يستطيع المؤمن التمييز بين الوسائل المشروعة والوسائل غير المشروعة وربط ذلك بمقاصدها وأن الوسيلة ولو كانت في الأصل مشروعة فإنها إذا وضعت في غير موضعها الذي

شرعت له تنقلب إلى الضد.

السادسة: الأمر بالتقرب إلى الله عز وجل بما هو أهله من فعل الطاعات وترك المنهيات ويدخل في ذلك فعل الوسائل المؤدية لعمل الطاعات وترك الوسائل المؤدية إلى معاصيه سبحانه وتعالى.

السابعة: بيان معنى الوسيلة الواردة في قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾.

الثامنة: الإخبار بقيام طائفة من أمته بأمر الله وظهورهم على من خالفهم فيدخل في ذلك استخدام كل وسيلة تمكنهم من الظهور على عدوهم في حدود القيام بأمر الله تعالى مما لا معارضة فيه لشرعه، ففيه التنبيه على قيد المتابعة وهو معنى قوله ﷺ: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد».

التاسعة: مشروعية الابتعاد عن مواطن الفتن بل وجوب البعد عنها لاسيما لمن قل علمه وضعف فقهه في دين الله تعالى.

العاشرة: عظم فتنة الدجال وأنه يجب البعد عنه ما أمكن يستوي في ذلك العالم فمن دونه ففيه أن السلامة في الدين مقدمة على ما سواها.

الحادية عشرة: أن المقاصد الشرعية إذا لم تحدد وسائلها تخير المكلف من الوسائل أفضلها ولا يأخذ بوسيلة محظورة إلَّا عند العجز عن استعمال المباح وترتب على تركها فوات مصلحة أعظم أو حصول مفسدة أشد، وإنما تعرف المصالح والمفاسد من الشرع وفي ذلك يقول

العـز بن عبد السلام -رحمه الله-: «وأما مصالح الآخر ومفاسدها فلا تعرف إلَّا بالنقل»[١].

وقال أيضًا: «أما مصالح الدارين وأسبابها ومفاسدها فلا تعرف إلَّا بالشرع فإن خفي منها شيء طلب من أدلة الشرع وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس المعتبر والاستدلال الصحيح»[٢] وقال: «فكل مأمور به ففيه مصلحة الدارين أو إحداهما وكل منهي عنه ففيه مفسدة فيهما أو في إحداهما فما كان الاكتساب محصلًا لأحسن المصالح فهو أفضل الأعمال وما كان محصلًا لأقبح المفاسد فهو أرذل الأعمال»[٣].

الثانية عشرة: أن مقاصد الشرع منها ما حددت وسائلها ومنها ما لم تحدد. فما حدد لم يجز إحداث شيء سواه كوسائل الصلاة لتوقفه على الشرع وما لم يحدد فليس بتوقيفي كما في قصة حاطب ابن أبي بلتعة رضي الله عنه.

الثالثة عشر: حرص النبي ﷺ على إظهار نعم الله عليه والتذكير بصدق موعوده وإظهار الحق في المكان الذي أظهر فيه الباطل ليزداد إيمان المؤمنين حين يذكرون صولة الباطل وكيف زالت شوكته وعاد أكثر أهله مع المسلمين أنصارًا لدين الله تعالى فلله الحمد والمنة.

(١) قواعد الأحكام لابن عبدالسلام ص: (٨،١٠).
(٢) نفس المرجع.
(٣) نفس المرجع.

تطبيقات
هل المأمور بالشيء مأمور بوسائله التي لا يتم إلا بها؟ مع ذكر الدليل. ....
الوسائل لها أحكام المقاصد ما دليل ذلك؟ ....
ما معنى الوسيلة؟ وما نصيحتك لمن يرتاد مواطن الفتن؟ ....
هل الوسائل توقيفية ؟ ....

الباب الثاني

في دعاة الضلالة وبيان دعوتهم

الفصل الأول

بيان دعوة الضلالة وأنها الدعوة إلى مخالفة أمر الله

قال الله تعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖ﴾ الآيات[1] فانظر كيف دعاهما إلى مخالفة أمر الله.

قال ابن كثير -رحمه الله-: «يذكر الله تعالى أنه أباح لآدم عيه السلام وزوجه حواء الجنة أن يأكلا منها من جميع ثمارها إلَّا شجرة واحدة... فعند ذلك حسدهما الشيطان وسعى في المكر والوسوسة والخديعة ليسلبهما ما هما فيه من النعمة واللباس الحسن»[2] وقال تعالى

(١) الأعراف: (١٩-٣٦).

(٢) تفسير ابن كثير: (٢٠٥/ ٢).

في معرض الحديث عن إبليس لعنه الله وأعاذنا منه ومن حزبه: ﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾[1].

قال مجاهد: ﴿صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ يعني الحق[2] وقال ابن عباس في قوله: ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أشككهم في آخرتهم ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ أرغبهم في دنياهم ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ أشبه عليهم أمر دينهم ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾ أُشهِّي لهم المعاصي[3] وقال ابن جرير: «فأخبر أنه يقعد لبني آدم على الطريق الذي أمر الله أن يسلكوه وهو ما وصفنا من دين الله دين الحق فيأتيهم من ذلك من كل وجوهه من الوجه الذي أمر الله به فيصدهم عنه»[4]. وعن سبرة بن أبي قاسم ﷺ قال: سمعت رسول لله ﷺ يقول: «إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام فقال: أتسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك؟ قال: فعصاه فأسلم. ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال أتهاجر وتذر أرضك وسماءك؟ وإنما مثل المهاجر مثل الفرس في الطَّوْل. قال فعصاه فهاجر. قال: ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له: هو جهد النفس والمال فتقاتل فتنكح المرأة ويقسم المال قال فعصاه فجاهد فقال رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك

(١) الأعراف: (١٦، ١٧).
(٢) تفسير ابن كثير: (٢/ ٢٠٤).
(٣) المصدر نفسه: (٢/ ٢٠٤).
(٤) تفسير الطبري: (١٢/ ٣٤١).

منهم فمات كان حقًا على الله أن يدخله الجنة أو قتل كان حقًّا على الله عز وجل أن يدخله الجنة وإن غرق كان حقًا على الله أن يدخله الجنة أو وقصته دابته كان حقًا على الله أن يدخله الجنة» رواه أحمد والنسائي بسند صحيح.[1]

وعن المسيب بن حزن قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة قال: رسول الله ﷺ لأبي طالب: «يا عم قل لا إله إلَّا الله كلمة أشهد لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم، هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلَّا الله فقال رسول الله ﷺ: «أما والله لأستغفرنّ لك مالم أنه عنك» فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾ الآية. متفق عليه.[2] فتأمل دعوة هذين الرجلين لعم النبي ﷺ إلى مخالفة أمر النبي ﷺ تجدها تسير على نفس الخط الذي يسير عليه الشيطان وسار عليه في الوقيعة بأبينا آدم عليه الصلاة والسلام. ومن هذا الباب ما نقل عن بعض دعاة النصرانية أنه قال «إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقًا لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها»[3]، وقال آخر

(١) انظر المسند حديث سيرة ابن أبي فاكه رضي الله عنه حديث (١٦٠٠٤) وصحيح سنن النسائي للألباني في كتاب الجهاد ، باب من أسلم وهاجر وجاهد حديث (٢٩٣٦/ ٢٩٣٧) ٢/ ٦٥٦ وصحيح الجامع (١٤٦٥)
(٢) رواه البخاري في كتاب الجنائز ، باب إذا قال المشرك عند الموت (لا إله إلا الله) حديث (١٢٩٤) . ورواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب الدليل على صحة الإسلام من حضرة الموت حديث (٢٤)
(٣) أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية للفرد والجماعة: ص (١٢).

«إن عدونا الأول في العالم هو الإسلام»[1] فانظر إلى أي شيء يدعون الناس؟ ! إنها الدعوة إلى مخالفة أمر الله عز وجل.

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: أن الحسد والسعي بالمكر والخديعة من صفات دعاة الباطل.

الثانية: أن دعوة أهل الباطل مخالفة لشرع الله وبذلك يعرفها علماء الشرع فيردونها ولهذا أرشد الله إلى سؤالهم ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

الثالثة: أن من مكر دعاة الباطل تصوير أوامر الشرع بصور تنفر منها نفوس الناس ليتمكنوا منهم فيضلونهم.

الرابعة: أن من مكر دعاة الباطل تظاهرهم بالنصح حين يدعون الناس إلى مخالفة أمر الله وتأكيد دعواهم بالأيمان الكاذبة.

الخامسة: أن دعاة الباطل يأتون إلى الناس من يأبي الشهوات والشبهات وبذلك يتمكنون من صد كثير من الناس عن الهدى.

السادسة: بيان السبب في حرص الشيطان على غواية ابن آدم وأنه الكبر والحسد.

السابعة: قعود الشيطان في جميع طرق الحق ليصد الناس عن دين الله.

(١) أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية: ص (١١).

الثامنة: فضل من خالف دعوات الشياطين من الإنس والجن فتمسك بالحق الذي أنزله الله على رسوله عليه الصلاة والسلام.

التاسعة: أن من خداع ومكر دعاة الباطل التشكيك والتلبيس على الناس في أمر دينهم وترغيبهم في الدنيا على وجه يخالف شرع الله تعالى.

العاشرة: أن من مكر دعاة الباطل تزيين المعاصي للناس ودفعهم إليها.

الحادية عشرة: أن دعاة الباطل لا مكان لهم مع وجود علماء الشريعة الربانيين وإنما يقوم سوقهم عند ذهاب هؤلاء العلماء حسًا أو معنًا.

الثانية عشر: حرص دعاة الباطل على باطلهم حتى في أصعب الحالات مثل حال أبي طالب واستخدام الأساليب المؤثرة.

الثالثة عشر: إدراك أعداء الإسلام أن مكمن القوة للمسلمين في هذا الدين، وحرصهم على إبعادهم عنه حتى يستطيعوا السيطرة عليهم.

تطبيقات

عرف دعوة الضلالة ولماذا سميت بهذا الاسم؟

.....

.....

أذكر أبرز صفات دعاة الضلالة مع الدليل لما تقول؟

.....

.....

قال تعالى في شأن إبليس: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ الأعراف: ١٦ – ١٧ بين معنى الكلمات التالية:

﴿صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ ﴿لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾؟

.....

.....

ما هي الأبواب التي يدخل منها أهل الباطل على الناس، مع الدليل؟

.....

.....

الفصل الثاني

بيان دعاة الضلالة وما هم فيه من العمى والغواية

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1] فهذه الأفعال الثلاثة (الكفر بآيات الله، وقتل الأنبياء، وقتل الذين يأمرون بالقسط) تدل على تخبط القوم في الضلالة.

كما قال الشاعر:

يقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

فإن جحد آيات الله مع وضوحها وقتل الأنبياء وهم قادة الإصلاح وأئمة الهدى في كل أمة وقتل من يأمر بالعدل لا يفعله إلَّا من يعيش في العمى والغواية.

قال ابن كثير -رحمه الله-: «هذا ذم من الله تعالى لأهل الكتاب بما

(١) سورة آل عمران: (٢١).

ارتكبوه من المآثم والمحارم في تكذيبهم بآيات الله قديمًا وحديثًا التي بلغتهم إياها الرسل استكبارًا عليهم وعنادًا لهم وتعاظمًا على الحق واستنكافًا عن اتباعه ومع هذا قتلوا من قتلوا من النبيين حين بلغوهم عن الله شرعه بغير سبب ولا جريمة منهم إليهم إلَّا لكونهم دعوهم إلى الحق»[1].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾[2]. فأخبر أن جدالهم بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير وهذا غاية الجهل والضلال.

قال ابن كثير -رحمه الله-: «أي بلا عقل صحيح ولا نقل صريح بل بمجرد الرأي والهوى»[3].

عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين» رواه الترمذي[4] وتقدم بيانه في القسم الأول. وإنما وصفوا بهذا الوصف لأنهم على ضلالة عمياء ويدعون الناس إليها.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بالله من إمارة الصبيان» قالوا وما إمارة الصبيان؟ قال: إن أطعتوهم هلكتم (أي في دينكم)(وإن عصيتموهم أهلكوكم) (أي في دنياكم بإزهاق النفس أو

(١) تفسير ابن كثير: (٣٥٥/ ١).
(٢) سورة الحج: (٨-١٠).
(٣) تفسير ابن كثير: (٣/ ٢٠٨).
(٤) انظر صحيح سنن الترمذي للألباني ، باب ما جاء في الأئمة المضلين ، حديث (١٨١٧/ ٢٣٤٤) ٢/ ٢٤٦

بإذهاب المال أو بهما) رواه ابن أبي شيبة[1] وهذا لا يحصل إلَّا من أهل الضلال ولا يفعل ذلك من كان على بصيرة من دينه ويحصل بذلك من الحرج ما أشار إليه الحديث. وفي كتاب النبي ﷺ إلى هرقل عظيم الروم «أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين» رواه البخاري. وذلك انه على ضلالة فبقاؤه على حاله يعني إصراره على الضلالة. والناس -كما قيل- على دين ملوكهم فيهلكون بسببه ويكون عليه مثل آثامهم. قال الخطابي: «أراد أن عليك إثم الضعفاء والأتباع إذا لم يسلموا تقليدًا له، لأن الأصاغر أتباع الأكابر»[2]. قال الحافظ بن حجر: (قلت وفي الكلام حذف دل المعنى عليه وهو: فإن عليك مع إثمك إثم الأريسيين، لأنه إذا كان عليه إثم الأتباع بسبب أنهم تبعوه على استمرا ر الكفر فلأن يكون عليه إثم نفسه أولى»[3].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: بعث علي ﷺ إلى النبي ﷺ بذهيبة فقسمها بين الأربعة الأقرع بن حابس الحنظلي ثم المجاشعي، وعيينه بن بدر الفزاري، وزيد الطائي ثم أحد بني نبهان وعلقمه بن علاثه العامري ثم أحد بني كلاب، فغضبت قريش والأنصار قالوا يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا؟ قال «إنما أتألّفهم» فأقبل رجل غائر

(١) انظر: فتح الباري: (١٠/ ١٣)، ورواه ابن أبي شيبه في كتاب الفتن (حديث ١٢٨) ورواه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ (تعوذوا بالله من رأس السبعين وأمارة الصبيان) قال أحمد شاكر : أسناده صحيح حديث (٨٣٠٢ ، ٨٣٠٣) .
(٢) المصدر نفسه: (١/ ٣٩).
(٣) المصدر نفسه: (١/ ٣٩).

العينين، مشرف الوجنتين، ناتىء الجبين، كث اللحية محلوق، فقال أتق الله يا محمد ! فقال: (من يطع الله إذا عصيت؟ أيأمنني الله على أهل الأرض ولا تأمنوني !؟) فسأله رجلٌ قَتْلَه -أحسبه خالد بن الوليد- فمنعه فلما ولَّى قال: (إن من ضئضىء هذا -أو من عقب هذا- قوم يقرؤون القرآن لا يتجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد) متفق عليه.[1] قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «قوله: (لا يجاوز) يحتمل أنه لا تفقهه قلوبهم ويحملونه على غير المراد ويحتمل أن يكون المراد أن تلاوتهم لا ترتفع إلى الله، وقوله «يمرقون من الدين» إن كان المراد به الإسلام فهو حجة لمن يكفر الخوارج ويحتمل أن يكون المراد بالدين الطاعة فلا يكون فيه حجة وإليه جنح الخطابي»[2] وقال في كتاب المغازي: «قوله (يمرقون من الدين) في رواية سعيد بن مسروق «من الإسلام وفيه رد على من أوَّل الدين هنا بالطاعة، وقال: إن المراد انهم يخرجون من طاعة الإمام كما يخرج السهم من الرميَّة وهذه صفة الخوارج الذين كانوا لا يطيعون الخلفاء. والذي يظهر أن المراد بالدين الإسلام كما فسرته الرواية الأخرى وخرج الكلام مخرج الزجر وأنهم بفعلهم ذلك يخرجون من الإسلام الكامل»[3].

(١) رواه البخاري في كتاب الانبياء ، باب قول الله عز وجل (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر) حديث (٣١٦٦) ، ووراه مسلم في كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم حديث (١٠٤٦) .

(٢) انظر: فتح الباري: (٦/ ٦١٨).

(٣) المصدر نفسه: (٨/ ٦٩).

وقوله: (فسأَلَهُ رجلٌ قَتْلَه) أي أن يأذن له في قتله وقوله (احسبه خالد بن الوليد) وفي رواية: (فقال عمر).

قال ابن حجر -رحمه الله-: «لا ينافي قوله في تلك الرواية (فقال خالد) لاحتمال أن يكون كل منهما سأل في ذلك»[1].

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: الوعيد الشديد لمن كفر بآيات الله وقتل الأنبياء والآمرين بالعدل من أتباعهم.

الثانية: عظم جرم هذه الفئة من الناس لما ينشأ عن فعلهم هذا من تثبيت الباطل ومنع الحق أن يصل إلى الناس وتثبيت الجهل.

الثالثة: تفسير ابن كثير للآية الأولى وبيان أنها ذم لأهل الكتاب وهم اليهود والنصارى لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فتعم.

الرابعة: بيان أن دعاة الضلالة يقيمون جدالهم على مجرد الرأي والهوى لا يعتمدون على عقل صحيح ولا نقل صريح.

الخامسة: خوف النبي ﷺ على أمته من الأئمة المضلين.

السادسة: استعاذ ة النبي ﷺ من إمارة الصبيان وبيان العلة في

(١) المصدر نفسه: (٦/ ٦١٨).

ذلك.

السابعة: التنبيه على أنه لا يأمر بمعصية الله وهو يعلم أنها كذلك إلَّا سفيه لأن الخير كل الخير في طاعة الله ولهذا وصفوا «بالصبيان».

الثامنة: التنبيه على أن الصبا قرين السفه في الغالب ولذا فسر إمارة الصبيان بهذا التعريف.

التاسعة: أن هذا التفسير يدل على أن المراد بالصبي صغير السن وصغير القدر كما نبه على ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح[1].

العاشرة: عظم المسئولية على الأئمة وأن عليهم إثم أتباعهم إن كانوا ضالين كما أن لهم مثل أجورهم إن كانوا صالحين كما تقدم.

الحادية عشرة: بيان تخبط أهل الضلال في ضلالهم من أهل الفرق الضالة (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان) ومع هذا يزعمون أنهم يدعون إلى الله وينصرون دينه.

◆◆◆◆

(١) المصدر نفسه: (٩/ ١٣).

تطبيقات	
أهل الباطل يقيمون جدالهم على مجرد الرأي، لماذا ؟	
استعاذ النبي ﷺ من إمارة الصبيان، لماذا؟	
ذكر النبي ﷺ الذين يمرقون من الدين بأنهم «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان»، على أي شيء يدل هذا الفعل منهم؟	

الفصل الثالث

في كون أهل النفاق من دعاة الباطل وبيان بعض صفاتهم

قال تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[1] فأخبر أن المنافقين يتخذون الكافرين أولياء بمعنى أعوانًا وأنصارًا وإنما ذلك ضد الحق وأهله فيما يفعلون من المكايد وما يبثونه من الإشاعات وما يقومون به من كشف عورات المسلمين لأعدائهم.

قال القرطبي: «تضمنت المنع من موالاة الكافرين وأن يتخذوا أعوانًا على الأعمال المتعلقة بالدين»[2].

وقال ابن كثير: «وصفهم بأنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون

---

(١) سورة النساء: (١٣٨، ١٣٩).

(٢) تفسير القرطبي: (٥/ ٤١٦).

المؤمنين بمعنى أنهم معهم في الحقيقة يوالونهم ويسرون إليهم بالمودة ويقولون لهم إذا خلوا بهم إنما نحن معكم إنما نحن مستهزؤن أي بالمؤمنين في إظهارنا لهم الموافقة» ثم قال: «المقصود من هذا التهييج على طلب العزة من جناب الله والإقبال على عبوديته والانتظام في جملة عباده الذين لهم النصرة في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد»[1].

وقال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[2] فهذا منهجهم وهذه دعوتهم أمر بالمنكر ونهي عن المعروف.

قال ابن كثير -رحمه الله-: «يقول تعالى منكرًا على المنافقين الذين على خلاف صفات المؤمنين ولما كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كان هؤلاء ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن الإنفاق في سبيل الله»[3].

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المنافق كالشاة العائرة بين غنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة» رواه مسلم.[4]

ففيه بيان لبعض صفاتهم كما قال تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ

(١) تفسير ابن كثير: (١/ ٥٦٦).
(٢) سورة التوبة: (٦٧).
(٣) تفسير ابن كثير: (١/ ٣٦٨).
(٤) رواه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث (٢٧٨٤) ٤/ ٢١٤٦.

هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾[1].

قال النووي: العائرة المترددة الحائرة لا تدري لأيهما تتبع ومعنى تعير أي تردد وتذهب»[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجالًا من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ الآية[3] متفق عليه.[4]

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: الوعيد الشديد للمنافقين والسخرية بهم من قبل الله رب العالمين حيث استعمل في الوعيد لفظ البشرى على سبيل التهكم والسخرية.

الثانية: بيان السبب الذي استحق به المنافقون هذا الوعيد وهو اتخاذهم الكافرين أولياء من دون المؤمنين.

الثالثة: تحقير هذا الفعل من المنافقين وتسفيه أحلامهم.

(١) سورة النساء: (١٤٣).
(٢) شرح النووي على مسلم: (١٢٨/ ١٧).
(٣) نص الآية: (ولا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم)(آل عمران: (١٨٨).
(٤) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب (لا تحسبن الذين يفرحون بما آتوا) حديث (٤٢٩١) ورواه مسلم في أوائل صفات المنافقين وأحكامهم حديث (٢٧٧٧).

الرابعة: تنبيه القرطبي رحمه الله على مسألة الاستعانة بالكفار في أمور الدين.

الخامسة: التهييج على طلب العزة من الله تعالى والترهيب الشديد من طلب ذلك من غير الله.

السادسة: أن المنافقين على خلاف صفات المؤمنين فيما يأمرون به وما ينهون عنه.

السابعة: تشبيه النبي ﷺ المنافقين بالشاة العائرة، ففيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾[1].

الثامنة: إن من صفات المنافقين أنهم يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا بخلاف المؤمنين فإنهم يعملون ويخافون ألَّا يقبل منهم.

◆◆◆◆

(١) سورة النساء: (١٤٣).

تطبيقات

من دعاة الضلالة المنافقون بين بعض صفاتهم من خلال النصوص الواردة في هذا الفصل؟

.....

.....

ما رأيك في كلام القرطبي في مسألة الاستعانة بالكفار في أمور الدين؟

.....

.....

قال تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ النساء: ١٣٨ – ١٣٩ ما سبب هذا الوعيد الشديد للمنافقين؟

.....

.....

الفصل الرابع

في بيان بعض دعاة الضلالة وأن طريقهم عمياء

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [1] فانظر إلى حال هؤلاء الناس في جدالهم: ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ فلا عقل صحيح ينظرون به ولا نقل صريح يعتمدون عليه وإنما هو الهوى واتباع الظنون مع هذا كله يتكبرون ويتعالون على الحق إذا عرض عليهم بحججه.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤساء جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» رواه مسلم. [2]

(١) سورة الحج: (٨، ٩).

(٢) رواه مسلم في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان حديث (٢٦٧٣).

فإذا انتصب الجاهل للفتوى فقد دخل الضلال من أوسع أبوابه دعوة وعملًا فهلك وأهلك غيره فدل هذا الحديث أن من دعاة الضلالة الذين يفتون الناس بغير علم.

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: أن دعاة الباطل لا يعتمدون في دعوتهم على عقل صحيح ولا نقل صريح بل بمجرد الهوى واتباع الظنون (وتقدم).

الثانية: ما عليه دعاة الباطل من الكبر والتعالي على الحق.

الثالثة: أن من أفتى بغير علم فقد ضل وأضل غيره.

الرابعة: أن الفتوى لا تغير حكم الله وإنما هي من باب الخبر عن الله ورسوله ﷺ فإن كانت بعلم فنعما هي وإلَّا فويل له من الله.

تطبيقات

ذكر بعض أهل العلم أن دعاة الباطل لا يعتمدون في دعوتهم على عقل صحيح ولا نقل صريح لماذا، مع ذكر الدليل؟

.....

.....

هل الفتوى تغير حكم الله ولماذا، مع الدليل؟

.....

.....

ما حكم من أفتى بغير علم؟

.....

.....

الفصل الخامس

أن دعاة الضلالة يتعمدون الكذب على الله ويختارون الضلالة ويؤثرون الدنيا

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1] ﴿يَلْوُۥنَ﴾ يعني يحرفون. فأخبر أنهم يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلًا وهي عروض هذه الدنيا الفانية وأنهم يحرفون الكتاب الذي أنزل عليهم بقصد إيهام الناس أنه من عند الله وأنهم يتعمدون الكذب على الله فهذه ثلاث صفات لهؤلاء القوم وهي وان

(١) سورة آل عمران: (٧٧،٧٨).

كان ظاهرها في أهل الكتاب إلَّا أن السلف الصالح كانوا يحتجون بالآية الأولى على كل من كتم شيئًا من الحق طمعًا في شيء من حطام الدنيا أخذًا بعموم اللفظ.

يقو ل ابن كثير -رحمه الله-: «يقول تعالى يعتاضون عما عاهدوا الله عليه من اتباع محمد ﷺ وذكر صفته للناس وبيان أمره، وعن أيمانهم الكاذبة الفاجرة الآثمة بالأثمان القليلة الزهيدة وهي عروض هذه الدنيا الفانية الزايلة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ أي لا نصيب لهم فيها ولا حظ لهم منها ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي برحمة منه لهم يعني لا يكلمهم الله كلام لطف ولا ينظر إليهم بعين الرحمة ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ أي من الذنوب والأدناس بل يأمر بهم إلى النار ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] ومعنى يعتاضون: يتخذونه عوضًا.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف يمين صبر ليقتطع منها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فأنزل الله تصديق ذلك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ ...﴾ إلى آخر الآية. قال فدخل الأشعث بن قيس وقال: ما يحدثكم أبو عبدالرحمن؟ قلنا: كذا وكذا. قال فيّ أُنزلت، كانت لي بئر في أرض ابن عم لي قال النبي ﷺ: بينتك أو يمينه. فقلت: إذًا يحلف يا رسول الله. فقال النبي ﷺ: من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم وهو فيها فاجر لقي الله وهو عليه عضبان» رواه

(١) تفسر ابن كثير: (١/ ٣٧٥).

البخاري.[1] والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب بل إن من تعمد الكذب على الله واختار الضلالة إيثارًا للدنيا على الآخرة يدخل في هذا العموم من باب أولى.

وعن عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكة أن امرأتين كانتا تخرزان[2] في بيت وفي الحجرة، فخرجت إحداهما وقد انفذ بإشفى[3] في كفها فادعت على الأخرى فرفع أمرها إلى ابن عباس، فقال ابن عباس قال رسول الله ﷺ: «لو يعطى الناس بدعواهم لذهب دماء قوم وأموالهم» ذكّروها بالله واقرؤوا عليها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ...﴾ فذكّروها فاعترفت فقال ابن عباس: قال النبي ﷺ «اليمين على المدعى عليه» رواه البخاري ومسلم.[4]

قال الحافظ ابن حجر: «فيه إشارة إلى العمل بما دل عليه عموم الآية لا خصوص سبب نزولها»[5].

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: إن دعاة الباطل يؤثرون الدنيا على الآخرة ويتركون الحق والهدى مع علمهم به طمعًا في حطام الدنيا ولذاتها.

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب (أن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً) حديث (٤٢٧٥)، وقد أورده البخاري في ١٢ موضعا من صحيحه، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمينه فأجره النار حديث (١٨٣)

(٢) تخرزان: تخيطان.

(٣) بإشفى: مثل المسلة (الإبرة) له مقبض يخرز به.

(٤) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب (إن الذين يشترون بعهد الله ثمناً قليلاً) حديث (٤٢٧٧). ورواه مسلم في كتاب الأقضية، باب اليمين على المدعى عليه حديث (١٧١١).

(٥) فتح الباري: (٨/ ٢١٤).

الثانية: أن من صفات أهل الباطل التلبيس على الناس وإظهار الباطل في صورة الحق، وتزيين الشر، والكذب على الله وتحريف شرعه.

الثالثة: تفسير قوله تعالى: ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية وأن المراد تحريف ما أنزل الله عليهم من الكتاب والتلبيس بذلك على الناس وأنهم يفعلون ذلك طمعًا في الدنيا.

الرابعة: الوعيد الشديد لمن فعل ذلك بأن ﴿لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

الخامسة: بيان سبب نزول هذه الآية وأنها فيمن حلف يمين صبر ليقتطع بها مال امرئ مسلم واليمين الصبر هي الفاجرة.

السادسة: استدلال ابن عباس -رضي الله عنهما- بالآية اعتبارًا بعموم اللفظ وتنبيه الحافظ ابن حجر على ذلك.

السابعة: أن الذكرى ينتفع بها المؤمن ولهذا اعترفت هذه المرأة لما ذكّرت بهذه الآية ففيها معنى قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾.

الثامنة: عظم حرمة المؤمن عند الله تعالى حيث جاء الوعيد الشديد لمن اقتطع مال امرئ مسلم بيمينه الفاجرة وما جاء في الآية الكريمة من الوعيد.

التاسعة: أن البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وأن هذه

القاعدة فيها عصمة لدماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم.

تطبيقات

اذكر بعض الصور التي يظهر بها تعمد دعاة الباطل للكذب على الله، وكذا اختيارهم الضلالة، وإيثارهم الدنيا على الآخرة؟

.....

.....

من صفات دعاة الباطل التلبيس على الناس وإظهار الباطل في صورة الحق، أذكر الدليل على ذلك مما في هذا الفصل من النصوص؟

.....

.....

بين معنى قوله تعالى: ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ آل عمران: ٧٨؟

.....

.....

الفصل السادس

أن دعاة الضلالة يأمرون بالفحشاء وينهون عن المعروف ويحذرون منه

قال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

قال أبو جعفر الطبري -رحمه الله-: «﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ﴾ أيها الناس بالصدقة وأدائكم الزكاة الواجبة عليكم في أموالكم أن تفتقروا ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ يعني ويأمركم بمعاصي الله عز وجل وترك طاعته»[2].

وقال الشوكاني[3]: «﴿يَعِدُكُمُ﴾ معناه: يخوفكم الفقر أي بالفقر

(١) سورة البقرة: (٢٦٨).

(٢) تفسير الطبري: (٥/ ٥٧١).

(٣) فتح القدير: (١/ ٢٨٩).

لئلا تنفقوا وقال: ﴿بِٱلْفَحْشَآءِ﴾: الخصلة الفحشاء وهي المعاصي والإنفاق فيها والبخل عن الإنفاق في الطاعات والمغفرة: الستر على عباده في الدنيا والآخرة. والفضل: أن يخلف عليهم أفضل مما أنفقوا فيوسع لهم أرزاقهم وينعم عليهم في الآخرة بما هو أفضل وأكثر وأجل وأجمل».

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾[1] والصد عن سبيل الله أشد أنواع النهي عن المعروف.

وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾[2] فأنكروا على شعيب عليه السلام أمره إياهم بتوحيد الله تعالى ونهيه إياهم عن التطفيف في الكيل والميزان وأن يبخسوا الناس أشياءهم وأن يعثوا في الأرض مفسدين وهو بعينه منهج الشيطان الذي تقدم في الآية.

قال ابن كثير: «﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾ فنترك التطفيف عن قولك وهي أموالنا نفعل فيها ما نريد»[3].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للشيطان

(١) سورة الأنفال: (٣٦).

(٢) سورة هود: (٨٧).

(٣) تفسير ابن كثير: (٢/ ٤٥٦).

لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن يجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ رواه الترمذي والنسائي وأخرجه ابن حبان في صحيحه[1]

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: أن دعاة الضلالة على عكس ما عليه دعاة الهدى.

الثانية: أن من أساليب دعاة الضلالة التخويف من فعل الخير.

الثالثة: أن من أساليب دعاة الضلالة الأمر بالفحشاء وبيان معناها.

الرابعة: أن دعاة الهدى على خلاف ما عليه دعاة الضلالة فهم يعِدُون على فعل الخير بمغفرة من الله لذنوبهم وفضل منه عليهم وبيان معناها.

الخامسة: أن دعاة الضلالة يسترخصون الأموال في الصد عن سبيل الله وطاعته ويستكثرونها إن كانت في طاعة الله.

السادسة: سوء عاقبة دعاة الضلالة الذين ينفقون أموالهم للصد عن سبيل الله وعظم ما ينتظرهم عند الله من العذاب.

(١) رواه الترمذي في التفسير (من تفسير سورة البقرة حديث (٤٠٧٣) قال الترمذي هذا حديث غريب وفي تحفة الأحوذي : حسن غريب ٧/ ٣٣٢ وقال المبارك فوري في التحفة وأخرجه النسائي وابن حبان في صحيحه ٧/ ٣٣٢ .

الثامنة: القاعدة العظيمة في تمييز عمل الشيطان من عمل الملك فيما ينتاب الإنسان من الخواطر عند فعل الخير وهكذا ينبغي أن يفعل المؤمن حين يلتقي بدعاة الهدى والضلالة أو تبلغه دعوتهم أن يميز بينهم بهذه القاعدة.

تطبيقات

من أبرز صفات أهل الباطل دعوتهم الناس للفاحشة وترغيبهم فيها، ونهيهم عن المعروف وتحذيرهم منه، اذكر الدليل على ذلك ولما ذا يفعلون ذلك؟

.....

.....

ما معنى قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ البقرة: ٢٦٨؟

.....

.....

سجل من خلال قراءتك لهذا الفصل الفوارق البارزة بين دعاة الهدى ودعاة الضلالة مع ذكر القاعدة العظيمة التي تميز بينهما؟

.....

.....

الفصل السابع

في بيان أن اتباع المتشابه من الكتاب وترك المحكم من أحوال أهل الزيغ

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

قال ابن كثير -رحمه الله-: «يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى ومن عكس أنعكس»[2].

(١) سورة آل عمران: (٧).

(٢) تفسير ابن كثير: (١/ ٣٤٤).

قال أبو جعفر الطبري -رحمه الله-: «حدثنا أبو حميد: قال حدثنا سلمه عن محمد بن إسحاق قال حدثني محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ فيهن حجة الرب، وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ليس لـها تصريف ولا تحريف عما وضعت عليه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ في الصدق لهن تصريف وتحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام لا يصرفن إلى الباطل ولا يحرفن عن الحق»[1].

وقال أبو جعفر أيضًا: «وأما المحكمات فإنهن اللواتي قد أحكمن بالبيان والتفصيل وأثبتن حججهن وأدلتهن على ما جعلن أدلة عليه من حلال وحرام وما أشبه ذلك» وقال ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يعني بذلك أنهن أصل الكتاب الذي فيه عماد الدين والفرائض والحدود وسائر ما بالخلق إليه الحاجة من أمر دينهم، وما كلفوا من الفرائض في عاجلهم وآجلهم. وإنما سماهن ﴿أُمَّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ لأنهن معظم الكتاب وموضع مفزع أهله عند الحاجة إليه»[2].

قال ابن كثير: «إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه عليها لاحتمال لفظه لما يصرفونه فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه لأنه دافع لهم وحجة عليهم ولهذا قال الله

(١) تفسير الطبري: (٦/ ١٧٧).
(٢) المصدر نفسه: (١/ ١٧٠).

تعالى: ﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ أي الإضلال لأتباعهم إيهامًا لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن وهو حجة عليهم لا لهم كما لو أحتج النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وتركوا الاحتجاج بقوله: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ﴾ وبقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرحة بأنه خلق من مخلوقات الله وعبد ورسول من رسل الله»[1].

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية إلى قوله: ﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ قالت: قال رسول الله ﷺ فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله، فاحذروهم» رواه البخاري.[2]

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: «والمراد التحذير من الإصغاء إلى الذين يتبعون المتشابه من القرآن وأول ما ظهر ذلك من اليهود كما ذكره ابن إسحاق في تأويلهم الحروف المقطعة وأن عددها بالجمل مقدار مدة هذه الأمة ثم أول ما ظهر في الإسلام من الخوارج حتى جاء عن ابن عباس أنه فسر بهم الآية وقصة عمر في إنكاره على ضبيع لما بلغه أنه يتبع المتشابه فضربه على رأسه حتى أدماه. أخرجه الدارمي وغيره»[3].

(١) تفسير ابن كثير: (١/ ٣٤٥).
(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير ، باب (منه آيات محكمات) حديث (٤٢٧٣) ، ورواه مسلم في العلم ، باب النهي عن اتباع التشابه من القرآن حديث (٢٦٦٥).
(٣) فتح الباري: (٨/ ٢١١).

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: بيان المراد بالمحكم والمتشابه في الآية الكريمة.

الثانية: أن المحكم هو معظم الكتاب ويرد إليه المتشابه عند أهل الحق.

الثالثة: بيان السبب في اختيار المتشابه وأنه زيغ القلب عن الحق.

الرابعة: أن دعاة الضلالة يختارون المتشابه يقصدون بذلك الفتنة وإيهام أتباعهم بأنهم يتبعون القرآن وإنما يتبعون أهواءهم.

الخامسة: الفرقان بين أهل الزيغ والفساد وبيان أهل الحق والهدى في متابعة القرآن.

السادسة:بيان الحكمة من وجود المتشابه وأنه ابتلاء من الله للعباد.

السابعة: اعتبار هذا الموقف من أهل الزيغ قاعدة يعرفون بها فيحذرون.

الثامنة: بيان ابن كثير لكيفية اتباع المتشابه بما ضربه من المثل وكذلك الحافظ بن حجر العسقلاني.

◆◆◆◆

	تطبيقات
	بين المقصود بالألفاظ التالية: المحكم، المتشابه، الزيغ، الفتنة، أم الكتاب؟ ....
	لماذا يختار دعاة الضلالة المتشابه ويتركون المحكم؟ ....
	ما هي الحكمة من وجود المتشابه؟ ....
	ما دلالة الأخذ بالمتشابه على ضلالهم؟ ....

الفصل الثامن

أن دعاة الضلالة يعتمدون على الدعوى المجردة في دينهم وسائر سلوكهم

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[1]. فأخبر تعالى أن قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ كذب وافتراء عليه وأن هذه الفرية غرتهم في دينهم فصاروا يعتمدون عليها فيما يقعون فيه من المخالفات الشرعية.

قال ابن كثير -رحمه الله-: «يقول تعالى منكرًا على اليهود والنصارى المتمسكين فيما يزعمون بكتابيهم اللذين بأيديهم وهما التوراة والإنجيل

(١) سورة آل عمران: (٢٣-٢٥).

وإذا دعوا إلى التحاكم إلى ما فيهما من طاعة الله فيما أمرهم به فيهما من اتباع محمد ﷺ تولوا وهم معرضون عنه، وهذا في غاية ما يكون من ذمهم والتنويه بذكرهم بالمخالفة والعناد ثم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أي إنما حملهم وجرأهم على مخالفة الحق افتراؤهم على الله فيما ادعوه لأنفسهم»[1].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ «أي ثبتهم على دينهم الباطل ما خدعوا به أنفسهم من زعمهم أن النار لا تمسهم بذنوبهم إلَّا أيامًا معدودات وهم الذين افتروا هذا من تلقاء أنفسهم واختلقوه ولم ينزل الله به سلطانًا»[2].

عن المقدام بن معدي كرب الكندي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يوشك الرجل متكئًا على أريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وان ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله» رواه الترمذي وابن ماجه.[3] فهذا الرجل بنى قوله على دعوى أن الكتاب يغني عن السنة وأنه لا حاجة إليها وهي دعوى ينبني عليها ترك كثير من أمور الدين مما لا يمكن فهمه إلَّا عن طريق السنة.

وقال علي رضي الله عنه: إنه لا خير في عبادة لا علم فيها ولا علم لا فهم فيه

(١) تفسير ابن كثير: (١/ ٣٥٥).
(٢) المصدر نفسه: (١/ ٣٥٦).
(٣) رواه الترمذي في كتاب العلم ، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث (٢١٤٥/ ٢٨١٣) صحيح سنن الترمذي للألباني ٣٣٨/ ٢ ورواه ابن ماجه باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه حديث (١٢) صحيح سنن ابن ماجه للألباني ٧/ ١ ورواه أيضا أبو داود في كتاب السنة باب في لزوم السنة حديث(٣٨٤٨/ ٤٦٠٤) صحيح سنن أبي داوود للألباني ٨٧٠/ ٣.

ولا قراءة لا تدبر فيها» وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إليه أو يفتقر إلى ما عنده وستجدون أقوامًا يدعون إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم. عليكم بالعلم وإياكم والبدع والتنطع والتعمق وعليكم بالعتيق» رواه الدارمي.[1] وذلك أن البدع مبناها على الدعوى المجردة من الدليل فنجد أهل البدع عندهم من الحرص عليها والاجتهاد فيها مالا يوجد له مثيل عند غيرهم وكل ذلك مبني على دعوى نسجوها من تلقاء أنفسهم أو نسجت لهم والواقع ما قال الله تعالى في شأن أهل الكتاب ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ وقد قال النبي ﷺ : «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد» رواه مسلم.[2]

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: اعتماد أهل الضلالة فيما يعتقدون على الظن والأوهام ففيه معنى قوله تعالى عنهم: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾.

الثانية: أن أهل الكتاب كذبوا على الله وخدعوا أنفسهم حين قالوا: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾.

الثالثة: أن الأخبار الشرعية مبناها على النقل دون زيادة أو نقصان فإن كان صحيحًا فهي صحيحة وإلَّا فلا، وأن من أُخبر بثواب أو عقاب على عمل أو أشخاص دون أن يعتمد على نقل صحيح فقد كذب على

(١) رواه الدرامي ، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبرع ٥٤/ ١.
(٢) رواه مسلم في كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور حديث (١٧١٨).

الله وظلم نفسه ومن اقتدى به ففيه معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[1].

الرابعة: الوعيد الشديد على من كذب على الله ففيه معنى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾[2].

الخامسة: عظم مكانة السنة من القرآن وأن من اعتمد على القرآن -بزعمه- وترك السنة لا يكون بمنجاة من عذاب الله إذا ارتكب مخالفة سنة رسول الله ﷺ في أمره ونهيه.

السادسة: أن ما حرم رسول الله ﷺ في سنته مثل ما حرم الله في كتابه وأنه يجب الأخذ بالسنة ولو لم يرد لما ذكرته من الأحكام شيء من القرآن ففيه معنى قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[4].

السابعة: بيان منهج دعاة الضلالة وأنهم لا يحبون السنة ويتعللون بالأخذ بالقرآن وحده وليسوا على شيء.

---

(١) سورة النحل: (١٠٦).
(٢) سورة الزمر: (٣٢).
(٣) سورة النساء: (٨٠).
(٤) سورة الحشر: (٧).

الثامنة: قول علي رضي الله عنه: «لا خير في عبادة لا علم فيها... إلخ»، وما بعده فيه بيان للمنهج الصحيح في العبادات والقراءة وتلقي العلوم.

التاسعة: تحريض ابن مسعود على طلب العلم وبيان السبب في ذلك وتحذيره من دعاة الضلالة وكشف النقاب عن زيف دعوتهم وأن دعواهم التمسك بكتاب الله من باب التمويه والتعمية على الناس أو من باب الجهل المركب.

تطبيقات

دعاة الضلالة يعتمدون على الدعوى المجردة في دينهم وسائر سلوكهم، أذكر الدليل على هذا من خلال النصوص الواردة في هذا الفصل، وما المراد بالدعوى المجردة؟

.....

.....

قال رسول الله ﷺ: «يوشك الرجل متكئًا على أريكته..» إلخ وضح مايلي:

١. ما معنى الكلمات الآتية: يوشك، متكئًا، أريكته؟

٢. ما هو وجه المخالفة في هذا الحديث؟

٣. وضح الرابط بين قوله عليه الصلاة والسلام: «ألا وإن ما حرم رسول الله...» إلخ ، وبين ما قبله؟

.....

.....

اشرح أثر علي رضي الله عنه: «إنه لا خير في عبادة لا علم فيها...» إلخ، وما الفرق بينه وبين أثر عبد الله بن مسعود: «عليكم بالعلم...» إلخ؟

.....

.....

الفصل التاسع

أن من وسائل التضليل لدى دعاة الضلالة نسبة بعض الصالحين إليهم

قال تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1] فأخبر سبحانه أن نسبتهم إبراهيم إلى اليهودية أو النصرانية إنما هو من باب التضليل وكتمان الشهادة ولهذا قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة: (١٤٠).

(٢) سورة آل عمران: (٦٧).

(٣) سورة آل عمران: (٩٥).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[1] فاحتج عليهم بالتاريخ إذ كيف يكون يهوديا أو نصرانيًا والتوراة التي عليها اليهود والإنجيل الذي عليه النصارى فيما يزعمون ما أنزلتا إلَّا بعده بزمن طويل جدًّا.

وقال تعالى: ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ١٢٤ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾[2] فأخبر تعالى أن الجزاء عنده دائر بين الفضل والعدل فمن يعمل سوءًا يجز به أيًا كان نسبه ومن يعمل صالحًا فلا يظلم شيئًا بل يضاعف له الجزاء كرمًا وإحسانًا وأن إبراهيم ليس على ما عليه أهل الكتاب والمشركون من اليهودية أو النصرانية أو الشرك بل هو إمام يقتدى به في الإخلاص لله وعدم الإشراك به والمتابعة لله في أمره ونهيه.

وقال تعالى عن أنبيائه ورسله ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ

(١) سورة آل عمران: (٦٦).

(٢) سورة النساء: (١٢٣-١٢٥).

وَيَعۡقُوبَۚ كُلّٗا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحٗا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٥ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٦ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٨٧ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾[1] فأخبر تعالى أن أنبياءه بما فيهم موسى وعيسى عليهم السلام لم يكونوا معتمدين في دينهم على الأماني والانتساب إلى الأخيار من الأباء والأجداد بل كل منهم مهتدٍ بهدى الله الذي أنزله إليه محسن فيما يتقرب به إلى الله تعالى وبهذا يتميز دعاة الضلال من دعاة الهدى والرشاد.

وقال البخاري -رحمه الله-: «قال موسى (يعني ابن عقبة) حدثني سالم بن عبدالله -ولا أعلمه إلا تحدث به عن ابن عمر- أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه، فلقي عالمًا من اليهود فسأله عن دينهم فقال: إني لعلِّي أن أدين بدينكم فأخبرني. فقال: لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله. قال زيد ما أفر إلَّا من غضب الله ولا أحمل من غضب الله شيئًا أبدًا وأنّى أستطيعه؟

(١) سورة الأنعام: (٨٣ - ٩٠).

فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلَّا أن يكون حنيفًا. قال زيد: وما الحنيف؟ قال دين إبراهيم، لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا ولا يعبد إلَّا الله. فخرج زيد فلقي عالمًا من النصارى، فذكر مثله فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله، قال: ما أفر إلَّا من لعنة الله ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبدًا وأنّى أستطيع؟ فهل تدلني على غيره؟ قال ما أعلمه إلَّا أن تكون حنيفًا قال: وما الحنيف قال: دين إبراهيم، لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا ولا يعبد إلَّا الله. فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم عليه السلام خرج، فلما برز رفع يديه فقال: اللهم إني أشهد أني على دين إبراهيم»[1] وقد دل هذا الأثر على أن اليهود والنصارى حين قالوا عن إبراهيم بأنه يهودي أو نصراني كان ذلك منهم محض افتراء وأنهم يعلمون أنه لم يكن كذلك.

قال الطبري -رحمه الله-: ﴿حَنِيفًا﴾ يعني متبعًا أمر الله وطاعته، مستقيمًا على محجة الهدى التي أمر بلزومها. ﴿مُّسْلِمًا﴾ يعني خاشعًا لله بقلبه متذللًا له بجوارحه مذعنًا لما فرض عليه وألزمه من أحكامه»[2].

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: دعوى اليهود والنصارى والمشركين أن إبراهيم كان على دينهم وأنها دعوى باطلة.

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل حديث (٣٦١٥).

(٢) تفسير الطبري: (٦/ ٤٩٤).

الثانية: أن هذه الدعوى قائمة على قصد التمويه والتضليل فهم يعلمون أنه ليس كذلك وتأمل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾.

الثالثة: إبطال هذه الدعوى بنفيها وإثبات ما عليه إبراهيم من الدين المغاير لما عليه اليهود والنصارى والمشركون.

الرابعة: بيان فائدة التاريخ وأن الله أحتج به على إبطال هذه الدعوى ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ فكيف يكون على دين اليهود والنصارى ولم يكن لها وجود في عهده ولا قبله.

الخامسة: أن الله حكم عدل ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وأنه لا قيمة للأماني المبنية على الدعاوى الباطلة وأن الجزاء من جنس العمل.

السادسة: بيان ما عليه أنبياء الله من التوحيد وصلاح العمل وأن اليهود والنصارى على خلاف ذلك ففيها إبطال كونهم على ما جاءت به رسلهم من الهدى.

السابعة: بيان حقيقة دعوى اليهود والنصارى أن إبراهيم كان يهوديًا أو نصرانيًا وأنهم يعلمون أنه على خلاف ذلك ﴿حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ ولهذا أرشدوا زيد بن عمرو بن نفيل إلى دين إبراهيم وأنه الحنيفية.

الثامنة: تفسير الطبري لكلمتي: الحنيف والمسلم.

تطبيقات

يعمد دعاة الضلالة إلى بعض الصالحين فينسبونهم إليهم فما الهدف من ذلك؟ وهل في فعلهم هذا خطورة على الناس؟ وضح ذلك مع ذكر الدليل؟

.....

.....

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ آل عمران: ٦٥ بين الشاهد ووجه الاستشهاد من هذه الآية؟

.....

.....

بين أهمية علم التاريخ من خلال دراستك لنصوص هذا الفصل؟

.....

.....

الفصل العاشر

أن من وسائل التضليل لدى دعاة الضلالة الدخول في الإسلام ثم الخروج منه لتسمع دعواهم فيه بالباطل

قال تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾[1].

قال ابن كثير -رحمه الله-: هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم وهو أنهم اشتوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح فإذا جاء آخر النهار ارتدوا إلى دينهم ليقول الجهلة من الناس إنما ردهم إلى دينهم اطلاعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين»[2]. وقال العوفي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: «قالت طائفة من أهل الكتاب إذا لقيتم

(١) سورة آل عمران: (٧٢).

(٢) تفسير ابن كثير: (١/ ٣٧٣).

أصحاب محمد أول النهار فآمنوا وإذا كان آخره فصلوا صلاتكم لعلهم يقولون: هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا»[1].

عن عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: «لعن الله من كمه أعمى عن السبيل» وفي رواية «ملعون من كمه أعمى عن الطريق» رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان وقال الساعاتي: سنده حسن[2]. ومعنى (كمه): عمى عليه الطريق وأضله.فإذا كان هذا في شأن التضليل عن الطريق الحسي مع إمكان وجود من يصحح مساره فيكتشف الخطأ ويصل إلى الصواب فكيف بالتضليل لأعمى البصيرة بسبب الجهل حتى يوهمه أنه على هدى وليس كذلك؟ ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3].

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: إمعان دعاة الضلالة من أهل الكتاب في الصد عن سبيل الله كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[4].

(١) نفس المصدر.

(٢) رواه أحمد في المسند برقم (١٨٧٥) ، (٢٩١٥) وقال أحمد شاكر اسناده صحيح ورواه البيهقي في الشعب حديث (٥٣٧٣) شعبة(٣٧) باب في تحريم الخروج ومايجب من التعفف عنها ٤/ ٢٥٤ وانظر صحيح الجامع الصغير رقم (٥٧٦٧) وانظر الفتح الرباني مع مختصر شرحه للساعاتي ١٩/ ٢٩٥.

(٣) سورة الأنعام: (١٤٤).

(٤) سورة آل عمران: (٩٩).

الثانية: أن من سمات دعاة الضلالة المكر والخداع والحيل بضعفاء الناس ليصدوهم عن سبيل الله.

الثالثة: أعمال الحيل الظاهرة والباطنة في دفع ما جاءت به الرسل.

الرابعة: الإقرار بالحق ليتوصلوا به إلى دفعه. وهذه والتي قبلها من مسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله[1].

الخامسة: أن الدعاوى لا تقبل بدون بينة وأن الحق إنما يعرف بدليله.

السادسة: خطر التقليد الأعمى وكيف يستغله دعاة الضلالة.

السابعة: أن دعاة الضلالة يستغلون ما لهم من مكانة عند ضعفاء الناس في صدهم عن الحق وإشباع رغباتهم بخلاف دعاة الهدى فإنه لا يزيدهم تقدير الناس إياهم إلَّا نصحًا لهم وسعيًا في مصالحهم ودفع الأذى عنهم وخوفًا من الله فيهم.

الثامنة: لعن رسول الله ﷺ: «من أضل الأعمى عن الطريق» فمن أضله عن الحق كان أولى وعمى البصيرة أشد من عمى البصر قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[2].

◆◆◆◆

(١) مسائل الجاهلية من مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب: (١/ ٣٤٤).

(٢) سورة الحج: (٤٦).

تطبيقات

من مكايد دعاة الضلالة الدخول في الإسلام ثم الخروج منه ما وجه ذلك مع ذكر الدليل؟

.....

.....

في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «ملعون من كمه أعمى عن الطريق»، ما مناسبة ذكر هذا الحديث هنا؟ مع ذكر الشاهد ووجه الاستشهاد، وما معنى: «كمه»؟

.....

.....

اذكر خطر التقليد الأعمى من خلال نصوص هذا الفصل؟

.....

.....

الفصل الحادي عشر

أن من سمات دعاة الضلالة عدم استمرار العلم الصحيح في قلوبهم وعدم ظهوره على جوارحهم وإن تشدقوا به وظهروا في صور العلماء بألسنتهم

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾[1] فانظر كيف يسألون هذا السؤال وهم من ضمن الحاضرين وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[2] فأخبر تعالى أن الفعل بما يخالف القول ممقوت عنده سبحانه فإذا كان ذلك بقصد التضليل كان أولى بالمقت (والمقت شدة الغضب) نسأل الله العافية.

(١) سورة محمد: (١٦).

(٢) سورة الصف: (٢/ ٣).

قال ابن كثير -رحمه الله-: (إنكار على من يعد وعدًا أو يقول قولًا لا يفي به)[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾[2].

قال ابن كثير: «هذه صفة المنافقين منهم (أي أهل الكتاب) أنهم يصانعون المؤمنين في الظاهر وقلوبهم منطوية على الكفر»[3].

وقال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[4].

قال ابن كثير: «لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه»[5].

وقال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[6] «أي الخارجون عن طريق الحق الداخلون في طريق الضلالة»[7] وما كان لهم أن يفعلوا ذلك

(١) تفسير ابن كثير: (٤/ ٣٥٧).
(٢) سورة المائدة: (٦١).
(٣) تفسير ابن كثير: (٢/ ٧٤).
(٤) سورة المنافقون: (١).
(٥) تفسير ابن كثير: (٤/ ٣٦٨).
(٦) سورة التوبة: (٦٧).
(٧) تفسير ابن كثير: (٢/ ٣٦٨).

ولا أن يقبل منهم لولا أنهم يظهرون بمظهر العالم الناصح فيحصل للعامة اغترار بأقوالهم فيقعون في الهلاك وذلك بترك الحق والأخذ بالهوى وتأمل في قوله: ﴿يَأْمُرُونَ﴾ ﴿وَيَنْهَوْنَ﴾.

عن أبي عثمان النهدي قال: إني لجالس تحت منبر عمر وهو يخطب الناس فقال في خطبته: سمعت رسول الله ﷺ يقول إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة (وفي لفظ على أمتي) كل منافق عليم اللسان) رواه أحمد وقال المنذري ورواته محتج بهم في الصحيح، وقال الهيثمي رجاله موثوقون. قال الساعاتي: «أي كثير علم اللسان جاهل القلب والعمل، أتخذ العلم حرفة يتأكل بها ذا هيبة وأبهة يتعوذ بها ويتعاظم بها، يدعو الناس إلى الله ويفر هو منه»[1].

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: أن مخالفة الفعل للقول ممقوت عند الله أشد المقت وعدًا كان أو غيره.

الثانية: أن هذا ليس من صفات المؤمنين ولهذا شدد النكير على فاعليه وفي الحديث: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان».

الثالثة: وجوب الوفاء بالوعد.

(١) بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني للشيخ أحمد البنا: (١٩/ ٢٣٢)، وقد رواه الإمام أحمد من طريقين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رقم (١٤٣) و (٣١٠) قال الشيخ أحمد شاكر : اسناده صحيح ٢١٧/ ١، ٢٨٩/ ١ وانظر الترغيب والترهيب للحافظ المنذري حديث (٢٢٥) ١٧٥/ ١.

الرابعة: أن من أهل الكتاب منافقين يقولون مالا يعتقدون.

الخامسة: تفنن أهل النفاق في مخاطبة المؤمنين وتعزيز قولهم بأنواع المؤكدات مبالغة في خداع المؤمنين وإيهامهم بأنهم صادقون ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾.

السادسة: أن من أبرز صفات دعاة الضلالة من المنافقين كونهم على خلاف طريق المؤمنين فلا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر. بل على العكس من ذلك وهذا مخالفة في الفعل لما يقولونه من دعوى الإيمان ففيه معنى قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ٢٩ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾.

السابعة: أن العلم إذا لم يتخذ للعمل كان خطرًا على الناس أيما خطر ووبالًا على صاحبه.

◆◆◆◆

تطبيقات

قال تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ محمد: ١٦، لماذا وقع من هؤلاء هذا السؤال؟

- هل هو لعدم وضوح الكلام ( ) ؟
- أو كونه فوق مستواهم ( ) ؟
- أو لكون قلوبهم صادة عن السماع ( ) ؟

.....

.....

من أبرز صفات المنافقين كونهم على خلاف ما عليه أهل الإيمان الصادق، أذكر ما يدل على ذلك من نصوص هذا الفصل؟

.....

.....

لماذا يخاف النبي ﷺ على أُمَّته من المنافق عليم اللسان؟

.....

.....

الفصل الثاني عشر

أن من دعاة الضلالة من يرى في الخروج على ولاة الأمر فضيلة وفي طاعتهم ذل ومهانة وأنهم على خلاف منهاج النبوة المطهرة

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[1].

وهذه الآية هي الأصل في السمع والطاعة لولاة الأمر. قال ابن العربي -رحمه الله-: «والصحيح عندي أنهم (أي أولي الأمر) الأمراء والعلماء، أما الأمراء فلأن أصل الأمر منهم والحكم إليهم، وأما العلماء فلأن سؤالهم واجب متعين على الخلق، وجوابهم لازم وامتثال فتواهم واجب»[2].

(١) سورة النساء: (٥٩).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي: (١/ ٤٥٢).

وقال ابن كثير -رحمه الله-: «والظاهر-والله أعلم- أنها عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء »[1].

عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» متفق عليه.[2]

والمراد: لا سمع ولا طاعة في المعصية وعدم الطاعة في المعصية لا يلزم منه الخروج على الإمام ولا يبرره فلزوم الجماعة باق مع ذلك.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «من كره من أميره شيئًا فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبرًا مات ميتة جاهلية» متفق عليه.[3]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية أو يدعو إلى عصبية فقتل فقتلة جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه» رواه مسلم.[4] والعمية: هي الأمر الأعمى لا يستبين وجهه»[5].

وقوله: «مات ميتة جاهلية» أي على صفة موتهم من حيث هم

(١) تفسري ابن كثير: (١/ ٥١٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأحكام ، باب السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية حديث (٦٧٢٥)ورواه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية حديث (١٨٣٩).

(٣) رواه البخاري في كتاب الفتن ،باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (سترون بعدي أموراً تنكرونها) حديث (٦٦٤٥) ورواه مسلم في كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن حديث (١٨٤٩).

(٤) رواه مسلم في كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن حديث (١٨٤٨).

(٥) شرح النووي على مسلم: (٢/ ٢٣٨).

فوضى لا إمام لهم»[1].

فهذا منهاج النبوة في هذا الباب فيما يجب وما يحرم. ودعاة الضلالة على خلافه.

وقال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[2].

وقوله: ﴿إِلَّا خَبَالًا﴾ أي فسادًا بتخذيل المؤمنين فهؤلاء على خلاف منهاج النبوة فإن التخذيل والإسراع بالنميمة وطلب الفتنة كل ذلك مما حرمه الله على المؤمنين.

قال ابن كثير -رحمه الله تعالى-: «﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ أي ولأسرعوا السير والمشي بينكم بالنميمة والبغضاء والفتنة» وقال في قوله: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ﴾ «أي لقد أعملوا فكرهم وأجالوا آراءهم في كيدك وكيد أصحابك وخذلان دينك وإخماده مدة طويلة»[3].

وقال تعالى عن المنافقين: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾[4] يعنون بذلك رسول الله ﷺ.

(١) المصدر نفسه.

(٢) سورة التوبة: (٤٧،٤٨).

(٣) تفسير ابن كثير: (٢/ ٣٦١).

(٤) سورة المنافقين: (٨).

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- في مسائل الجاهلية بأنهم يرون «مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد له فضيلة وأن السمع والطاعة له ذل ومهانة فخالفهم رسول الله ﷺ وأمر بالصبر على جور الولاة وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة وغلظ في ذلك وأبدى فيه وأعاد»[1] وقال أيضًا: «أمر الله بالاجتماع في الدين ونهى عن التفرق فيه» وقال: «إن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبدًا حبشيًا»[2].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنه لا إسلام إلَّا بجماعة، ولا جماعة إلَّا بأمارة، ولا أمارة إلَّا بطاعة» رواه الدارمي. وقوله «لا إسلام إلَّا بجماعة» المقصود -والله أعلم- عند وجود الجماعة لأنه قد جاء في حديث حذيفة «فإن لم يكن إمام ولا جماعة قال: اعتزل تلك الفرق كلها» ولما تقدم في هذا الباب من الأحاديث.

وقال فروة بن نوفل -وكان من الخوارج-: «والله ما أدري على أي شيء نقاتل عليًا»[3] لأنه كان تحت راية عمية. ولما طلب أهل الكوفة من عثمان بن عفان رضي الله عنه أن يعزل سعيد بن العاص فأبى أن يعزله خرج الأشتر النخعي من ليلتة في نفر، فسار عشرًا إلى الكوفة واستولى عليها وصعد المنبر وقال: هذا سعيد بن العاص قد أتاكم يزعم أن السواد

(١) مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب: (١/ ٣٣٥).
(٢) المصدر نفسه: (١/ ٣٩٤).
(٣) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: (٥/ ١٣٤).

بستان لأغيلمة من قريش، والسواد مساقط رؤوسكم ومراكز رماحكم فمن كان يرى عليه لله حقًا فلينهض إلى الجرعة، فخرج الناس فعسكروا بالجرعة فأقبل سعيد حتى نزل العذيب، فجهز الأشتر إليه ألف فارس مع يزيد بن قيس الأرحبي وعبدالله بن كنانة العبدي فقال: سيروا وأزعجاه وألحقاه بصاحبه فإن أبى فاضربا عنقه، فأتياه فلما رأى الجد رجع. وصعد الأشتر منبر الكوفة وقال: يا أهل الكوفة ما غضبت إلَّا لله ولكم وقد وليت أبا موسى الأشعري صلاتكم، وحذيفة بن اليمان فيئكم ثم نزل وقال: يا أبا موسى اصعد. فقال ما كنت لأفعل، ولكن هلموا فبايعوا لأمير المؤمنين وجددوا البيعة في رقابكم فأجابه الناس وكتب إلى عثمان بما صنع فأعجب عثمان بما صنع وولاه على الكوفة[1] فانظر كيف استثار الناس بالكذب وادعى على سعيد ما لم يقله ليصل إلى مراده من إثارة الفتنة والخروج على سلطان المسلمين فأطفأ الله الفتنة بهذا الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: وجوب طاعة ولاة الأمر في غير معصية الله ورد ما تنوزع فيه إلى الكتاب والسنة وأن ذلك مقتضى الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر.

(١) تاريخ الإسلام للذهبي (عهد الخلفاء) ص: (٤٣١).

الثانية: بيان المراد بولاة الأمر وأنهم الأمراء والعلماء.

الثالثة: أن عدم طاعة ولي الأمر في المعصية لا يعني الخروج عليه ولا يبرره ففيه معنى قول أبي هريرة في شأن معاوية -رضي الله عنهما-: «أطعه في طاعة الله وأعصه في معصية الله» رواه مسلم.

الرابعة: وجوب الصبر على ولاة الأمر لما في ذلك من المصالح الشرعية العظيمة الدينية والدنيوية ففيه معنى قوله ﷺ: «إذا رأيتم من ولاتكم شيئًا تكرهونه فأكرهوا عمله ولا تنزعوا يدًا من طاعة» رواه مسلم.

الخامسة: الترهيب من الخروج على السلطان.

السادسة: الترهيب من القتال تحت راية عمية وبيان معنى ذلك.

السابعة: الترهيب من عدم مراعاة حقوق أمة محمد ﷺ.

الثامنة: أن طاعة ولاة الأمر من تمام الاجتماع في الدين وأنه لا يرغب في الخروج على ولاة الأمر إلَّا ذو جاهلية وهي الضلالة.

التاسعة: حرص دعاة الضلالة على الوقيعة بالمسلمين.

العاشرة: أن من أهل النفاق من يرى نفسه أعز من ولي أمر المسلمين تكبرًا عليه واستنكافًا عن طاعته.

الحادية عشرة: التشديد على قضية الجماعة لما فيها من حفظ هيبة المسلين وحقن دمائهم وقوة شوكتهم ففيه معنى قول عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر

والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى أن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم» رواه مسلم.

الثانية عشرة: العبرة من فتنة الأشتر النخعي وما صاحبها من الكذب والخداع من أجل استثارة الناس ضد ولي الأمر ثم موقف الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ثم موقف الخليفة الراشد رضي الله عنه.

تطبيقات

من هم أولوا الأمر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ النساء: ٥٩، وكيف يكون الرد إلى الله والرسول ﷺ؟

.....

.....

ما حكم طاعة ولاة الأمر، وهل طاعتهم مطلقة أم مقيدة، وإذا كانت مقيدة ما هو قيدها، مع ذكر الدليل؟

.....

.....

هل المظاهرات مخرج شرعي؟ مع ذكر ما فيها من سلبيات؟

.....

.....

ما معنى (راية عمية)، (مات ميتة جاهلية)، (عصبية)؟

.....

.....

الفصل الثالث عشر

أن من دعاة الضلالة من يتتبعون أخطاء العلماء -ولو تقوُّلًا- للنيل منهم وصد الناس عن الاستفادة منهم

قال تعالى في شأن موسى عليه السلام وفرعون لعنه الله: ﴿قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩ قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٢٠ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[1] فذكر أنه قام بتربيته وليدًا وأن موسى لم يرع حق النعمة بل قابل ذلك بما فعله من القتل جاحدًا نعمته عليه وكل ذلك من أجل التعريض به إظهارًا لعيوبه وصدًا للناس عنه قال ابن كثير -رحمه الله-: «أي أما أنت الذي ربيناه فينا وفي بيتنا وعلى فراشنا، وأنعمنا عليه مدة من السنين ثم بعد هذا قابلت ذلك الإحسان بتلك الفعلة أن قتلت منا رجلًا وجحدت نعمتنا عليك ولهذا قال

(١) سورة الشعراء: (١٨-٢١).

﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي الجاحدين»[1].

عن جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- قال: كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار. فقال الأنصاري: ياللأنصار ! وقال المهاجري: ياللمهاجرين! فسمع ذاك رسول الله ﷺ فقال: ما بال دعوى الجاهلية؟ قالوا يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار. فقال: دعوها فانها منتنة. فسمع بذلك عبدالله ابن أبي فقال: فعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فبلغ النبي ﷺ فقام عمر، فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي ﷺ دعه، لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه» متفق عليه.[2] ومعنى كسع: ضرب دبره وعجيزته. فانظر كيف يتتبع هذا المنافق عورات المسلمين مبتغيًا الفتنة مدعيًا لنفسه وقومه العزة ولرسول الله ﷺ والمهاجرين الذلة قبحه الله.

وعن عثمان بن عبدالله بن وهب قال: جاء رجل من أهل مصر يريد حج البيت فرأى قومًا جلوسًا فقال: من هؤلاء القوم؟ قالوا: هؤلاء قريش. قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبدالله بن عمر. قال: يا بن عمر! إني سائلك فحدثني، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال نعم. قال: هل تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهدها؟ قال: نعم. قال:هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم. قال الله أكبر.

(١) تفسير ابن كثير: (٣/ ٣٣٢).

(٢) رواه البخاري في كتاب المناقب ، باب ما ينهي عنه من دعوى الجاهلية حديث (٣٣٣٠) ورواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً حديث (٢٩١٠).

قال ابن عمر: تعال أبين لك، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه. وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال رسول الله ﷺ إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه. وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة لبعثه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان إلى مكة فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده وقال:هذه لعثمان ثم قال ابن عمر: اذهب بها الآن معك» رواه البخاري.[1] فهذا الرجل جاء في هذا المكان الطاهر وعمد إلى حلقة ابن عمر في المسجد الحرام وبث سمومه على وجه لو نجح فيه لقام ذلك المجلس المبارك بحمل فتنته والاصطلاء بنارها ولكن الله سلم بما وفق له هذا الحبر العظيم والعالم الجليل عبدالله بن عمر حيث أبطل كل دعاويه واحدة واحدة وحولها إلى فضائل لذلك الرجل الكريم المبشر بالجنة الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وعن مرة بن كعب قال: سمعت رسول الله ﷺ وذكر الفتن فقربها فمر رجل مقنع في ثوب فقال: «هذا يومئذ على الهدى» فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان. قال: فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: نعم. رواه الترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.[2] فتأمل هذه التزكية من رسول الله ﷺ، وقابلها بقصة المصري وما دار بينه وبين عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- يتبين لك ما عليه القوم من الباطل.

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عثمان بن عفان حديث(٣٤٩٥) .

(٢) رواه الترمذي في أبواب المناقب ، مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه حديث (٢٩٢٢/ ٣٩٧٠)انظر صحيح سنن الترمذي للألباني ٣/ ٢١٠ ، ورواه ابن ماجه في فضل عثمان بن عفان حديث (١١١/ ٨٩) وانظر صحيح بن ماجه للألباني ١/ ٢٤.

وقال زرعة بن البرح -وهو ممن خرج على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ-: «أما والله يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله لأقاتلنك اطلب بذلك رحمة الله ورضوانه»[1] وهو يعلم أن عليًا ممن شهد لهم رسول الله بالجنة وأنه يحب الله ورسوله، وهو أعلم منه بالله ورسوله ﷺ واتقى، وعند علي ومعه من المهاجرين والأنصار من فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر،ولكنه الهوى والجهل بالله تعالى. أعاذنا الله من ذلك.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع قال: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لاتؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله» رواه الترمذي [2]وعن أبي موسى الأشعري ﷺ مرفوعًا: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط» حديث حسن صحيح[3] رواه أبو داود. وعلي ﷺ ممن اجتمعت فيه هذه الخصال ولكن القوم لا يعظمون الله في واقع أمرهم وان ادعوا ذلك.

وعن جابر بن سمرة ﷺ قال: شكا أهل الكوفة سعدًا إلى عمر بن الخطاب ﷺ فعزله، واستعمل عليهم عمارًا فشكوا حتى ذكروا أنه لا

(١) البداية والنهاية: (٧/ ٢٨٥).

(٢) رواه الترمذي في أبواب البر والصلة ، باب ماجاء في تعظيم المؤمن حديث (٢١١٨/١٦٥٥) انظر صحيح سنن الترمذي للألباني ٢/٢٠٠.

(٣) رواه أبو داوود في كتاب الأدب ، باب في تنزيل الناس منازلهم حديث (٤٨٤٣) أنظر صحيح سنن أب داوود حديث (٤٠٥٣/ ٤٨٤٣) ٣/٩١٨.

يحسن يصلي. فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي. قال أبو إسحاق: أما والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم عنها، أُصلي صلاة العشاء فأركد في الأوليين وأخف في الأخريين. قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق. فأرسل معه رجلًا أو رجالًا إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجدًا إلَّا سأل عنه ويثنون معروفًا حتى دخل مسجدًا لبني عبس فقال رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكنى أبا سعده قال: أمّا إذ نشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير فينا بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية. قال سعد والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا قام رياء وسمعة فأطل عمره وأطل فقره وعرّضْه للفتن. وكان بعد إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد.

قال عبدالملك: «فأنا رأيته بعدُ قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن» رواه البخاري وفي رواية له: قال عمر لسعد: «لقد شكوك في كل شيء حتى الصلاة».[1]

ويستفاد من هذا الفصل عدة مسائل:

الأولى: تذكير فرعون لموسى بخطئه حين قتل القبطي لينال منه ولهذا قال: ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

الثانية: استغلال عبدالله بن أبي بن سلول رئيس المنافقين لفعل المهاجري بالأنصاري وقوله: فعلوها!... إلخ.

(١) رواه البخاري في كتاب صفة الصلاة ، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفرحديث (٧٢٢)، ورواه أيضا مسلم في الصلاة ، باب القراءة في الظهر والعصر حديث (٤٥٣) .

الثالثة: تتبع أهل الزيغ لعورة أمير المؤمنين عثمان بن عفان للنيل منه ﷺ وكيف فرح هذا المصري بجواب ابن عمر على أسئلته بنعم ظنا منه أنه قد أوصل مهمته لهذا الجمع من الناس في حرم الله، من التشهير بالخليفة والتنقص به ولكنه باء بالفشل حين بين له ابن عمر الأسباب وأنها تحولت إلى فضائل لو أن القوم يهتدون بهدى الله فيسألون إذا لم يعلموا.

الرابعة: عظم فقه ابن عمر ودقة حكمته حيث استدرج هذا المصري حتى عرف أهدافه ثم كر عليه بإبطال ما توهمه وقوله (اذهب بها الآن معك).

الخامسة: الفائدة العظيمة فيما ورد في شأن عثمان من الطعون التي وجهها أعداؤه وما خاض فيه بعض المؤرخين وأنها كلها باطلة وأن الرجل على الهدى بشهادة رسول الله ﷺ وفيها العبرة في كشف حبائل أهل الزيغ وأنهم لا يتورعون في إلْصاق النقائص بأهل العلم والفضل مهما كانت منزلتهم.

السادسة: وقاحة الخارجي وهو يهدد أمير المؤمنين عليًّا ﷺ من أجل قضية التحكيم مع أنها قضية اجتهادية وما كان كذلك فإنه لا يبرر الخروج من الجماعة ولا إهانة ولي الأمر بالتهديد والتشهير به بين العامة كما فعل الخوارج قبحهم الله.

السابعة: عظم ضلال هؤلاء الخوارج حيث يطلبون رحمة الله بما يسخطه ففيه معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

الثامنة: فضل علي ﷺ حيث اتسع صدره لمثل هذا الكلام حرصًا منه على إطفاء الفتنة وإقامة الحجة وهو بذلك يأخذ بأسباب النصر وقد نصره الله.

التاسعة: فضل من أكرم ذا الشيبة المسلم...الخ وأن ذلك من إجلال الله تعالى.

العاشرة: عظم الفرية التي قذف بها الرجل العبسي سعدًا ﷺ لينال منه بالوشاية به إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ.

الحادية عشرة: فضل سعد بن أبي وقاص ﷺ وأن عمر لم يعزله لتهمة لقوله: «هذا الظن بك يا أبا إسحاق».

الثانية عشرة: أن سعدًا من مجابي الدعوة وأن الله قد استجاب له في هذا الظالم ففيه معنى قوله تعالى في الحديث القدسي: (من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب) الحديث.

الثالثة عشرة: أن من أساليب دعاة الضلالة النيل من العلماء وافتراء الكذب عليهم لصد الناس عنهم فكم من خير حرمه أهل الكوفة بسبب هذه الفرية وقد قال له النبي ﷺ: «لعلك أن تعمر فينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون».

تطبيقات
من وسائل الإضلال لدى دعاة الضلالة تتبع أخطاء العلماء الربانيين، أذكر أمثلة على ذلك مما قرأ في هذا الفصل؟ ....
سجل ما تراه مناسبًا لموضوع هذا الفصل مما ورد في قصة عبدالله بن عمر مع المصري بإيجاز؟ ....
سجل ملاحظاتك مما جاء في قصة عبد الله بن أبي بن سلول (المنافق) في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه؟ ....

تطبيقات عامة

حاول أن تسجل نتائج ما قرأت في هذا الكتاب بقسميه مما يكون مميزًا لدعاة الهدى عن دعاة الضلالة على مقرنة بين الفريقين:

م	دعاة الهدى	م	دعاة الضلالة

ثبت المراجع

١)- **القرآن الكريم**.

٢)- **أحكام القرآن** [تحقيق علي محمد البجاوي. الناشر: دار الفكر. المؤلف: القاضي أبو بكر بن العربي. محمد بن عبدالله بن محمد الأشبيلي المالكي الحافظ أحد الأعلام وعالم أهل الأندلس ومسندهم كان من الثقات الأثبات والأئمة المشهورين ولد سنة ٤٦٨هـ. وتوفي سنة ٥٤٣هـ].

٣)- **البداية والنهاية** [ط ٤ سنة ١٤٠٢ هـ. والناشر: مكتبة المعارف المؤلف: الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ت:٧٤٤هـ].

٤)- **البحر المحيط** [الناشر: دار الفكر. المؤلف: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين أبو حيان الغرناطي. قال الأسنوي: كان إمام زمانه في علم النحو إمامًا في اللغة عارفًا بالقراءات والحديث شاعرًا مجيدًا صادق اللهجة كثير الإتقان والاستبحار. ولد سنة ٦٥٤هـ وتوفي سنة ٧٤٥هـ].

٥)- **أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية للفرد والجماعة** [ط ١ سنة ١٤٠٤هـ الناشر: دار الأرقم للنشر والتوزيع. تأليف: د. محمد نعيم ياسين].

٦)- **الاستقامة** [ط ١ سنة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م تحقيق د. محمد رشاد سالم. تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية].

٧)- **أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية** [ط ٢ سنة ١٤٠٥ - ١٩٨٥م الناشر المجتمع. تأليف: د. عبدالودود شلبي].

٨)- **اقتضاء العلم العمل** [ط٤ سنة ١٣٩٧هـ تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. الناشر: المكتب الإسلامي. تأليف: الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ].

٩)- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام (عهد الخلفاء الراشدين)** [الناشر: دار الكتاب العربي. المؤلف: الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عنان الذهبي ت: ٧٤٨هـ].

١٠)- **تذكرة الحفاظ** [للإمام أبي عبدالله شمس الدين الذهبي ت ٧٤٨هـ الناشر: دار التراث العربي].

١١)- **تفسير القرآن العظيم** [الناشر: دار الفكر. المؤلف: الحافظ عماد الدين ابو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القيسيى القرشي البصروي الدمسقي قال الذهبي: فقيه متفنن ومحدث متقن ومفسر نقال ولد سنة ٧٠٠ هـ وتوفي سنة ٧٧٤هـ].

١٢)- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** [المؤلف: أبو عبدالله عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر آل سعدي التميمي كان على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة، ذا شفقة على الفقراء والمساكين والغرباء / ذا معرفة تامة بالفقه وأصوله لا يتقيد بالمذهب الحنبلي بل يرجح. ما ترجح عنده بالدليل الشرعي وله اليد الطولى في التفسير. ولد بعنيزة بتاريخ ١٢/ ١/ ١٣٠٧هـ وتوفي في عنيزة سنة ١٣٧٦هـ].

١٣)- **الجامع لأحكام القرآن** [ط ٢ سنة ١٣٧٣هـ الناشر: دار الكتب المصرية. المؤلف: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي القرطبي. كان إمامًا عالمًا، من الغواصين على معاني الحديث حسن التصنيف جيد النقل توفي سنة ٦٧١هـ].

١٤)- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** [تحقيق محمود محمد شاكر ط٢الناشر: دار المعرفة بمصر. المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الإمام أبو جعفر الطبري، قال عنه ابن كثير: روى الكثير عن الجم الغفير، ورحل إلى الآفاق في طلب الحديث وصنف التاريخ الحافل، وله التفسير الكامل الذي لا يوجد له نظير وغيرهما من المصنفات النافعة في الأصول والفروع، وقال الخطيب البغدادي: كان من أكابر أئمة العلماء ويحكم بقوله ويرجع إلى معرفته وفضله وكان قد جمع من العلوم مالم يشاركه فيه أحد من أهل عصره وكان حافظًا لكتاب الله، عارفًا بالقراءات كلها، بصيرًا بالمعاني، فقيهًا بالأحكام عالمًا بالسنن

وطرقها وصحيحها وسقيمها ومنسوخها عارفًا بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم قال ابن كثير: وكان من العبادة والزهادة والورع والقيام في الحق لا تأخذه في ذلك لومة لائم. ولد سنة ٢٢٤هـ وتوفي سنة ٣١٠هـ].

١٥)- **درء تعارض العقل والنقل** [ط١ سنة ١٣٩٩هـ - ١٩١٩م تحقيق د. محمد رشاد سالم. تأليف: شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية].

١٦)- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** [ط٢ سنة ١٣٨٣هـ الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني ثم الصنعاني الإمام العلامة الرباني المفسر الفقيه الأصولي السلفي المجتهد ولد سنة ١١٧٣هـ وتوفي سنة ١٢٥٠هـ].

١٧)- **الجامع الصحيح أو صحيح البخاري** [ط٣ سنة ١٤٠٧هـ ضبط وترقيم الدكتور مصطفى ديب البغا. الناشر: دار ابن كثير، ودار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع. المؤلف: هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم أبو عبدالله البخاري إمام المسلمين في الحديث قال عنه ابن خزيمة: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ وأحفظ له من البخاري توفي سنة ٢٥٦هـ].

١٨)- **الجامع الصحيح أو صحيح مسلم مع شرح النووي** [الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. المؤلف: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسين النيسابوري الحفظ قال عنه ابن أبي حاتم: كان ثقة من الحفاظ له معرفة بالحديث.

وقال أبو بكر الجارودي: كان من أوعية العلم. ولد سنة ٢٠٤ هـ وتوفي سنة ٢٦١هـ.

والشارح هو: الحافظ شيخ الإسلام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف ابن مري الحزامي الحواربي الشافعي قال عنه ابن السبكي: شيخ الإسلام أستاذ المتأخرين وحجة الله على اللاحقين والداعي إلى سبيل السابقين.

كان يحيى رحمه الله سيِّدًا وحصورًا ولينًا على النفس حصورًا. وزاهدًا لم يبال بخراب الدنيا إذا صير دينه ربعًا معمورًا.

له الزهد والقناعة ومتابعة السابقين من أهل السنة والجماعة والمصابرة على أنواع الخير... مع التفنن في أصناف العلوم فقهًا ومتون أحاديث وأسماء رجال لغة وصرفًا ولد سنة ٦٣١هـ وتوفي سنة ٦٧٦هـ].

١٩)- **كتاب فضائل الصحابة** [للإمام أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله ت ٢٤١هـ ط ١ سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م تحقيق وتخريج وصي الله بن محمد عباس].

٢٠)- **مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب «مسائل الجاهلية»، «الستة الأصول»** [المؤلف: شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب أحد أئمة الدعوة المقتدى بهم في الدين والذين جمعوا بين العلم والعمل والحرص على نشر الدين بين الناس ومحاربة الشرك والبدع وترسيخ عقيدة التوحيد رحمه الله رحمة واسعة توفي سنة ١٢٠٦هـ بالدرعية].

فهرس الموضوعات

مقدمة الطبعة الثانية ٥

المقدمة ٧

الباب الأول: في دعاة الهدى وبيان دعوتهم ١٤

الفصل الأول: أن الدعاة صنفان: دعاة هدى ودعاة ضلالة ١٥

الفصل الثاني: أن الدعوة إلى توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به أول الواجبات وأن الاهتمام به من هدي المرسلين عليهم الصلاة والسلام.. ٢١

الفصل الثالث: فضل من دعا إلى الله عز وجل وعظم ثوابه ٢٧

الفصل الرابع: أن الدعوة إلى الله تعالى من لوازم عموم رسالة النبي إقامة للحجة وكشفًا لشبه الزائغين وردًا لكيد الكائدين ٣٥

الفصل الخامس: أن دعاة الهدى على صراط مستقيم ٤٥

الفصل السادس: في بيان منهج الهدى في الدعوة إلى الله تعالى ... ٥٣

الفصل السابع: أن دعوة الهدى دعوة إلى الله وإلى سبيله ٥٩

الفصل الثامن: أن من دعوة الهدى استمساك من يدعو إلى الله بهداه الذي أنزله على رسوله ﷺ ٦٣

الفصل التاسع: أن سبيل الله بمعنى سبله وأنها صنائع المعروف التي تضمنها صراطه ٧٣

الفصل العاشر: أن الحكمة التي أمر بها النبي ﷺ في دعوته هي ما أوحي إليه من الكتاب والسنة ٨١

الفصل الحادي عشر: أن الحكمة التي أمر بها النبي ﷺ في دعوته هي البصيرة التي وصفت بها دعوته ٨٧

الفصل الثاني عشر: أن من البصيرة تقديم النقل على العقل وضبط النفس عند الغضب وتقديم الأهم ٩٧

الفصل الثالث عشر: أن من البصيرة في الدعوة إلى الله تعالى الاحتجاج بتوحيد الربوبية على توحيد العبادة وأن ذلك من سنن المرسلين عليهم الصلاة والسلام ١٠٧

الفصل الرابع عشر: أن من البصيرة في الدعوة إلى الله الموعظة الحسنة في الوقت المناسب ١١٥

الفصل الخامس عشر: أن الدعوة بالموعظة الحسنة من سنن المرسلين عليهم الصلاة والسلام ١٢٣

الفصل السادس عشر: فيما جاء في أمر الله نبيه ﷺ بوعظ المنافقين .. ١٢٧

الفصل السابع عشر: أن من الموعظة الحسنة التذكير بأيام الله وضرب الأمثال ١٣١

الفصل الثامن عشر: أن من البصيرة في الدعوة إلى الله المجادلة بالتي هي أحسن ١٣٧

الفصل التاسع عشر: أن المجادلة بالتي هي أحسن من سنن المرسلين عليهم الصلاة والسلام ١٤٣

الفصل العشرون: أن من البصيرة في الدعوة إلى الله تعالى الرفق بالنفس ١٥١

الفصل الحادي والعشرون: أن من البصيرة في الدعوة إلى الله تعالى الرفق بالناس ١٥٩

الفصل الثاني والعشرون: أن من البصيرة في الدعوة إلى الله التيسير وعدم التعسير ١٦٧

الفصل الثالث والعشرون: أن من البصيرة في الدعوة إلى الله تنزيل الناس منازلهم ١٧٥

الفصل الرابع والعشرون: أن من البصيرة في الدعوة إلى الله تقدير المواقف ١٨٣

الفصل الخامس والعشرون: أن من البصيرة في الدعوة إلى الله الحذر أن يفتن الداعي عن بعض ما أنزل الله على رسوله ﷺ ١٩٣

الفصل السادس والعشرون: في بيان أن من البصيرة في الدعوة إلى الله الصبر على الأذى فيها ٢٠١

الفصل السابع والعشرون: أن وسائل الدعوة موزونة بميزان الشرع فيما يجوز وما لا يجوز وأن بطها بذلك من البصيرة في الدعوة إلى الله تعالى ٢٠٩

* * *

الباب الثاني: في دعاة الضلالة وبيان دعوتهم ٢٢٦

الفصل الأول: دعوة الضلالة وأنها الدعوة إلى مخالفة أمر الله ... ٢٢٧

الفصل الثاني: دعاة الضلالة وما هم فيه من العمى والغواية ... ٢٣٣

الفصل الثالث: في كون أهل النفاق من دعاة الضلالة وبيان بعض صفاتهم ٢٤١

الفصل الرابع: في بيان بعض دعاة الضلالة وأن طريقهم عمياء .. ٢٤٧

الفصل الخامس: أن دعاة الضلالة يتعمدون الكذب على الله ويختارون الضلالة ويؤثرون الدنيا ٢٥١

الفصل السادس: أن دعاة الضلالة يأمرون بالفحشاء وينهون عن المعروف ويحذّرون منه ٢٥٧

الفصل السابع: في بيان أن اتباع المتشابه من الكتاب وترك المحكم من أحوال أهل الزيغ ٢٦٣

الفصل الثامن: أن دعاة الضلالة يعتمدون على الدعوى المجردة في دينهم وسائر سلوكهم ٢٦٩

الفصل التاسع: أن من وسائل التضليل لدى دعاة الضلالة نسبة الصالحين إليهم ٢٧٥

الفصل العاشر: أن من وسائل التضليل لدى دعاة الضلالة الدخول في الإسلام ثم الخروج منه لتسمع دعواهم فيه بالباطل ٢٨١

الفصل الحادي عشر: أن من سمات دعاة الضلالة عدم استقرار العلم الصحيح في قلوبهم وعدم ظهروها على جوارحهم وأن تشدقوا به وظهروا في صورة العلماء بألسنتهم ٢٨٥

الفصل الثاني عشر: أن من دعاة الضلالة من يرى في الخروج على ولاة الأمر فضيلة وفي طاعته ذل ومهانة وأنهم على خلاف منهاج النبوة المطهرة ٢٩١

الفصل الثالث عشر: أن من دعاة الضلالة من يتتبعون أخطاء العلماء -ولو تقولًا- للنيل منهم وصد الناس عن الاستفادة منهم ٢٩٩

تطبيقات عامة ٣٠٧

ثبت المراجع ٣٠٩

فهرس الموضوعات ٣١٥

السيرة الذاتية

المعلومات الشخصية:

ـ الاسم : مهدي بن إبراهيم بن محمد مبَجَر (لقباً) السمان (نسباً)

ـ تاريخ ومحل الميلاد : ١٣٦٧ هـ ، الجارة من محافظة صبيا

- الجنسية : سعودي

- ليسانس في الشريعة الإسلامية ١٣٩٤ / ١٣٩٥هـ كلية الشريعة بالرياض

- ماجستير في الدراسات الإسلامية جامعة أم القرى ١٤٠٧هـ

- إجازة في القراءات السبع من طريق الشاطبية

- إجازة في الجامع الصحيح للإمام البخاري رحمه الله .

- إجازة في الجامع الصحيح للإمام مسلم رحمه الله.

- إجازة في جامع الترمذي رحمه الله.

- إجازة في السنن الصغرى المسمى بالمجتبى للنسائي رحمه الله.

- إجازة في كتاب السنن لأبي داوود السجستاني رحمه الله.

- إجازة في كتاب السنن لأبي عبد الله ابن ماجه القزويني رحمه الله.

- إجازة في سنن الدارمي رحمه الله.

- إجازة في كتاب الموطأ للإمام مالك ابن أنس الأصبحي رحمه الله.

- إجازة في كتاب الشمائل للإمام الترمذي رحمه الله.

- إجازة في كتاب مشكأة المصابيح.

- إجازة في كتاب الموطأ من طريق محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله.

- إجازة في كتاب الحديث المسلسل بإجابة الدعاء في الملتزم.

العنوان البريدي / ١٠٢١٣٧ جدة ٢١٣٢١

Mahdee-m @ homail . com

الخبرات العلمية:

- رسالة بعنوان / قصة الفطرة لم يطبع
- رسالة بعنوان / البنيان المرصوص لم يطبع
- رسالة بعنوان / أضواء على الوسائل الدعوية تحت الطبع
- رسالة بعنوان / رسائل توجيهية في عشر ذي الحجة مطبوع
- رسالة بعنوان / ماذا تعني الوسطية في الإسلام مطبوع
- ورقة عمل/ بعنوان (العمل التطوعي : آفاق وتطلعات) مقدمة للملتقى الأول الذي تحتضنه كلية إعداد معلمات المرحلة الابتدائية بجدة
- ورقة عمل بعنوان / ميادين التعاون بين الجهات الخيرية في دول الخليج في مجال التعريف بالإسلام(أنواعها وسماتها والحاجة إليها) التي نظمتها الهيئة العالمية للتعريف بالإسلام بالمدينة المنورة
- رسالة بعنوان/ نافذة على المجتمع [قضايا اجتماعية] مطبوع
- رسالة بعنوان/ الوجه المشرق للاختبارات مطبوع
- كتاب بعنوان/ حذوة الداري على كتاب الأمانة في الأداء الإداري مطبوع
- رسالة بعنوان/ رعاية المسلم الجديد» أصلها ورقة عمل مقدمة للملتقى الدعوى للمكاتب التعاونية بالدمام مطبوع
- رسالة بعنوان/ اجتماع الكلمة (وأصلها محاضرة بمناسبة الحملة ضد ال إرهاب) مطبوع
- رسالة بعنوان/ منهاج النبوة في الدعوة إلى الله مطبوع
- رسالة بعنوان/ قصة التدخين مطبوع
- رسالة بعنوان/ الأمانة في الأداء الإداري مطبوع
- مالا يتم الواجب إلا به(رسالة ماجستير في الدراسات الإسلامية جامعة أم القرى ١٤٠٧هـ)

الخبرات العملية :

- عضو مؤسس للجمعية الخيرية للتوعية بأضرار التدخين والمخدرات بمنطقة مكة المكرمة
- عضو مجلس إدارة المكتب التعاوني بشرق جدة
- المدير التنفيذي للمكتب التعاوني بشرق جدة
- دورة تدريبية في كتابة التقارير نظمتها الغرفة التجارية بجدة مع كلية الاقتصاد والإدارة
- دورة في برنامج تنمية المهارات القيادية للمديرين (ضمن برامج التنمية الإدارية والفنية)
- دورة في برنامج إدارة التغيير والمهارات اللازمة لقائد التغيير
- دورة في برنامج تنمية مهارات التخطيط
- مجموعة من المشاركات الصحفية والتعليمية والتدريبية والأعمال الإدارية من ١٣٩٢هـ -١٤٢٧هـ حكومية وأهلية